مجلة
الدراسات الاجتماعية

مجلة علمية محكّمة نصف سنوية تصدر عن جامعة العلوم والتكنولوجيا

❖ التعليم عند العرب في العصر الجاهلي الثاني
د. فاروق أحمد حيدر

❖ خيارات تسوية الصراع العربي الإسرائيلي من المنظور الإسلامي
د. علي عبد الحق محمد

❖ دراسة المفردة في (درة التنزيل)
د. محمد فاضل السامرائي

❖ اتخاذ وليجة من دون الله ورسوله
د. عبدو بن علي الحريري

المجلد (٧) ، العدد (١٤) ، يوليو - ديسمبر ٢٠٠٢م

مجلة الدراسات الاجتماعية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة العلوم والتكنولوجيا

رئيس التحرير
أ. د. داود عبد الملك الحدابي

نائب رئيس التحرير
د. مهيوب علي أنعم

أعضاء هيئة التحرير
د. عبدالله عثمان الحمادي
د. نوري عبدالودود الجناعي

الهيئة الاستشارية
أ. د. ناصر عبد الله العولقي
أ. د. عبد الواحد الزنداني
أ. د. عبد العزيز المقالح
أ. د. عبد الرحمن عبد ربه
أ. د. عبد الرحمن الشجاع
أ. د. حسن محمد الأهدل

مجلة الدراسات الاجتماعية : المجلد (٧) ، العدد (١٤) ، يوليو - ديسمبر ٢٠٠٢م

توجه جميع المراسلات إلى نائب رئيس التحرير على العنوان التالي :
مجلة الدراسات الاجتماعية - وحدة ضبط الجودة - جامعة العلوم والتكنولوجيا اليمنية - صنعاء
ص.ب : ١٥٢٠١ - هاتف : ٣٧٣٢٤٠ - فاكس : ٣٧٣٢٣٤
البريد الإلكتروني : jss@ust.edu

دراسة المفردة في درة التنزيل

د. محمد فاضل السامرائي
قسم اللغة العربية - جامعة تعز

مقدمـــة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فهذا البحث يعنى ب(دراسة المفردة في درة التنزيل)، وكتاب (درة التنزيل) لأبي عبد الله الرازي المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى 421هـ) والمقصود بالمفردة هنا هو الكلمة الواحدة المذكورة في القرآن الكريم.

والغرض من هذه الدراسة إثبات أن كل مفردة في القرآن الكريم وضعت في المكان الذي يقتضيه سياق النص، فإذا كان هناك آيتان متشابهتان خصت إحداهما بالإفراد والأخرى بالجمع فإن الإفراد مقصود في موطنه والجمع مقصود في موطنه . وإذا خصت إحداهما بالتنكير والأخرى بالتعريف فإن التنكير قد جاء في الموضع المناسب له، وكذلك التعريف. وكذلك فإن الإدغام مقصود وعدمه مقصود. وهكذا فإن كل تغيير في المفردة مقصود له غرضه.

وقد آثرت أن أبحث المفردة في الآيات المتشابهة من خلال كتاب (درة التنزيل وغرة التأويل) لأنه . على الرغم من الخلاف في مصنفه . يعد من أوائل ما كتب في توجيه الآي المتشابه إن لم يكن أولها على الإطلاق، فآثرت أن أدرس رأي مصنفه في المفردة وأعرضه مع باقي الآراء لأرى مدى توفيقه أو تكلفه أو إخفاقه في توجيهه الآيات المتشابهة .

وقبل أن أبدأ في دراسة المفردة في هذا الكتاب مهّدت لدراستي هذه تمهيداً مختصراً عرّفت فيه بالمتشابه اللفظي والكتب التي ألفت فيه . ثم عرّفت بكتاب الدرة وبينت غرض المؤلف من وضعه . وبعد ذلك وقفت على الخلاف في مصنف

كتاب الدرة ، فعرضت رأي كل فريق ، ثم رجحت كونه للخطيب الإسكافي ثم ترجمت له.

ثم شرعت في دراسة اختلاف المفردة في الآيات المتشابهة التي ذكرت في هذا الكتاب . وقد قسمته على ثلاثة مباحث:

فتناولت في المبحث الأول اختلاف أبنية الألفاظ من حيث كونها اسمًا أو فعلاً ، ثم الاختلاف في أبية الأسماء ، ثم الاختلاف في أبنية الأفعال .

وفي المبحث الثاني درست أحوال المفردة من حيث التنكير والتعريف ، ثم وقفت على أنواع المعارف ، ثم تناولت موضوع تذكير الفعل وتأنيثه ، وختمته بالبحث في الفروق اللغوية .

وأما المبحث الثالث وهو الأخير فقد خصصته لدراسة ذكر حرف المبنى وحذفه .

وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث.

وأخيرًا أود أن أشير إلى أمرين تجدر الإشارة إليهما:

الأول: أني اعتمدت كثيرًا في دراستي هذه على الأمور اللغوية المسلَّمة والقواعد المقررة ، وهذا مهم جدًّا في دراسة التوجيهات وتقييمها . ومنهجي في ذلك أن أذكر الآيتين المتشابهتين . أو الآيات المتشابهة . ثم أذكر القاعدة . وقد أعكس الأمر إذا وجدت الأمر يستدعي ذلك ، فأذكر القاعدة اللغوية أولاً ثم أذكر الآيتين المتشابهتين أو الآيات المتشابهة .

والأمر الثاني أنه إذا كانت الآيات التي وجهها الخطيب قد وجهها علماء آخرون فإنني أعرض توجيهه مع التوجيهات الأخرى ، سواء كانت هذه الآراء والتوجيهات مذكورة في كتب المتشابه اللفظي أم في كتب التفسير أم في كتب علوم القرآن أم في غيرها من الكتب . ومنهجي في ذلك أن أبسط الآراء وأجعل في مقدمتها رأي الخطيب ، ثم أبسط آراء الباقين مرتبة على حسب سني وفاة أصحابها .

نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، إنه سميع مجيب.

توطئـــة

من المعروف أن الإعجاز القرآني أمر متعدد النواحي ، فهو يشمل الإعجاز العلمي والإعجاز التاريخي والإعجاز البياني ، إلى غير ذلك من جوانب الإعجاز .

ونريد أن نفرد القول هنا على الإعجاز البياني في القرآن .

إن التعبير القرآني تعبير مقصود ، وهذا يعني أن كل كلمة قد حسب حسابها ، فلم توضع إلا في المكان الذي يقتضيه سياق النص .

ومن الإعجاز البياني ما يعرف بالمتشابه اللفظي في القرآن ، وهو كما يعرّفه العلماء "إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة"[1] . ولتوضيح هذا الرأي أقول:

إذا تأملنا في القرآن الكريم وتدبرنا آياته وجدنا فيه آيات متشابهة تختلف في الإفراد والجمع ، أو في صيغ الوصف ، أو في التنكير والتعريف . . . إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف .

فمثال الاختلاف في الإفراد والجمع قوله تعالى : (وَقالوا لَن تَمَسَّنا النّارُ إلا أيّامًا معْدودَةً). البقرة80 ، بإفراد الصفة ، وبجمعها في قوله سبحانه : (وَقالوا لَن تَمَسَّنا النّارُ إلا أيّامًا معدوداتٍ). آل عمران24 ، .ومن ذلك قوله تعالى مخبرًا عن قوم صالح عليه السلام:(فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا في دارِهِمْ جاثِمينَ) الأعراف78 ، وقوله مخبرًا عن قوم شعيب عليه السلام : (وأَخَذَتِ الذينَ ظَلَموا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا في دِيارِهِمْ جاثِمينَ) . هود94 ، فأفرد (الدار) في الآية الأولى وجمعها في الآية الثانية .

وأما الاختلاف في صيغ الوصف فمن أمثلته قوله تعالى في موطن : (لا جَرَمَ أَنَّهُمْ في الآخِرَةِ هُمُ الأخْسَرونَ) . هود22 ، وفي موطن آخر : (لا جَرَمَ أَنَّهُمْ في الآخِرَةِ هُمُ الخاسِرونَ). النحل109 ، فقال في الآية الأولى : (الأخسرون) وفي الثانية

---

(1) البرهان في علوم القرآن. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي1/112.

(الخاسرون) . ومن أمثلته أيضًا قوله تعالى : (وَالزَّيتونَ وَالرُّمّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ). الانعام99 ، وقوله : (وَالزَّيتونَ وَالرُّمّانَ مُتَشابِهًا وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ) الانعام141 ، فقد خصت الآية الأولى بقوله : (مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ) والآية الثانية بقوله : (مُتَشابِهًا وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ) .

وأما التنكير والتعريف فمثال التعريف قوله تعالى : (فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فيما فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالمَعْروفِ). البقرة234 ، ومثال التنكير قوله : (فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فيما فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن معْروفٍ. البقرة240 . إلى غير ذلك من الآيات المتشابهة.

وهناك أوجه أخرى للاختلاف يطول بنا الكلام إذا ذكرناها [2].

وقد لفت نظر العلماء ظاهرة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم فأفردوا فيها مصنفاتهم ، وكان أول من أفرد مصنفاً في هذا الموضوع علي بن حمزة الكسائي (ت189هـ) كما نص على ذلك السيوطي[3] ، فقد ألف كتاب (متشابه القرآن) جمع فيه الآيات المتشابهة دون أن يوجهها ويبين سبب التخصيص فيها ، أي أنه لم يبين سبب مجيء الآية في هذا الموطن بهذا اللفظ دون غيره ، وقد قام بتحقيقه الدكتور محمد حسين آل ياسين عام1991 . 1992.

وهناك مصنفات أفردت في توجيه الآيات المتشابهة أشهرها كتاب (درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز) للخطيب الإسكافي (وهو الكتاب الذي سأقوم بدراسة المفردة فيه في هذا البحث) ، وكتاب (البرهان في متشابه القرآن) لمحمود بن حمزة الكرماني (ت505هـ) ، وكتاب (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل) لأحمد بن الزبير الغرناطي (ت708هـ) .

ونريد أن نفرد الكلام على كتاب (درة التنزيل) الذي هو مجال بحثنا .

التعريف بالدرة :

---

(2) ينظر البرهان للزركشي1/112 . 132.

(3) الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين السيوطي3/339.

يعنى هذا الكتاب بدراسة الآيات المتشابهة في القرآن الكريم وتوجيهها ، وقد أراد مصنفه أن يثبت فيه أن التعبير القرآني تعبير مقصود ، فكل آية لم تأت إلا في المكان الذي يقتضيه سياق النص ، بحيث لا يمكن أن تقع آية مكان نظيرتها .

والغرض الآخر لوضعه هو الرد على من ظن أن المتشابه اللفظي إنما هو تكرار لا داعي له ، جاء في مقدمة الكتاب :'' ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقانًا ، وصار المبهم المتشابه وتكرار المتكرر تبيانًا ، ولطعن الجاحدين ردًّا ، ولمسلك الملحدين سدًّا ''[4].

ولم أقف على كتاب عني بتوجيه الآي المتشابه أسبق منه ، فهو من أوائل ما كتب في هذا المجال أن لم يكن أولها على الإطلاق كما ذكرت ذلك .

يقول الزركشي في كلامه على من صنف في توجيه المتشابه اللفظي :''وصنف في توجيهه الكرماني كتاب (البرهان) ، والرازي[5] (درة التنزيل) ، وأبو جعفر بن الزبير ، وهو أبسطها في مجلدين''[6]. ويقول السيوطي :''وألف في توجيهه الكرماني كتاب (البرهان في متشابه القرآن) ، وأحسن منه (درة التنزيل وغرة التأويل) لأبي عبد الله الرازي ، وأحسن من هذا (ملاك التأويل) لأبي جعفر بن الزبير''[7].

ولم يستقص الخطيب جميع الآيات المتشابهة في القرآن ، بل لا تزال هناك آيات متشابهة كثيرة لم يذكرها . وقد استدرك أحمد بن الزبير الغرناطي عليه كثيرًا منها في كتابه (ملاك التأويل) ووضع عليها علامة المغفل (غ).

والجدير بالذكر أن الكتاب لم يحقق حتى الآن في حدود ما أعلم ، وإنما نشر مرتين بدون تحقيق . ففي المرة الأولى نشره عادل نويهض في دار الآفاق الجديدة

---

(4) درة التنزيل3.

(5) الرازي هو الخطيب الإسكافي نفسه ، وقد أشرت إلى ذلك في المقدمة .

(6) البرهان للزركشي112/1.

(7) الإتقان339/3.

في بيروت عام 1393هـ. 1973م. وفي المرة الثانية نشرته دار الكتب العلمية في بيروت عام1416هـ. 1995م.

الخلاف في صاحب الكتاب:

اختلف الدارسون وأصحاب كتب التراجم فيمن هو صاحب كتاب (درّة التنزيل وغرة التأويل) ، فذهب فريق منهم إلى أنه للخطيب الإسكافي . يقول ياقوت الحموي : ''أبو عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي . . . وصنف غلط كتاب العين . . . ودرة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهة''[8]. ويقول صلاح الدين الصفدي : ''محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي أبو عبد الله اللغوي ... من تصانيفه كتاب الغرة ... وكتاب درة التنزيل وغرة التأويل''[9]. ويقول السيوطي : ''محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي أبو عبد الله الأديب اللغوي... وصنّف غلط كتاب العين... درة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهة''[10]. ويقول بروكلمان : ''أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب الإسكافي ، توفي سنة 421هـ / 1030م . له المؤلفات التالية : مبادئ اللغة ... درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ''[11]. ويقول عمر رضا كحالة : ''محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي (أبو عبد الله) . . . من تصانيفه مبادئ اللغة . . . ودرة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهة''[12].

---

(8) معجم الأدباء . ياقوت الحموي18/214. 215.

(9) الوافي بالوفيات . صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي3/337.

(10) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . جلال الدين السيوطي1/149.

(11) تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان5/163. 164.

(12) معجم المؤلفين . عمر رضا كحالة10/211.

وذهب الأستاذ صفوان عدنان داودي في مقدمة تحقيقه كتاب (مفردات ألفاظ القرآن) للراغب الأصبهاني إلى أن صاحب كتاب (درة التنزيل) إنما هو الراغب الأصبهاني نفسه . وذكر أن هناك عدة نسخ مخطوطة نسبت الكتاب إليه ، منها نسخة مخطوطة في مكتبة أسعد أفندي في جامع السليمانية في إسطنبول بعنوان (درة التأويل في متشابه التنزيل)، ونسخة في المتحف البريطاني بالعنوان نفسه،ونسخة مخطوطة في مكتبة راغب باشا بعنوان (حل متشابهات القرآن) . وذكر المحقق أنه اطّلع على نسخة المتحف البريطاني فإذا هي عينها كتاب (حل متشابهات القرآن) الموجودة في مكتبة راغب باشا [13].

ومن الأدلة التي ساقها لتأييد مذهبه في نسبة كتاب الدرة إلى الراغب أنه ذكر فيه كتابه (جامع التفسير) أثناء ذكره الآيات المتشابهة في سورة الكافرون [14]. ومن المعروف أن هذا الكتاب للراغب الأصبهاني وليس للخطيب الإسكافي [15].

وذهب حاجي خليفة إلى أن كتاب (درّة التنزيل) للفخر الرازي ، فقد قال في كتابه (كشف الظنون): "(درّة التنزيل وغرّة التأويل في الآيات المتشابهات)للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى606هـ" [16]. وقد ذهب إلى هذا الرأي إسماعيل بن باشا البغدادي أيضًا [17].

والملاحظ أن بروكلمان قد احتضن هذا الرأي، فعندما تكلم على كتاب (ملاك التأويل) وبيّن أنه تكملة لكتاب (درّة التنزيل) قال: "وهذا إكمال وإصلاح

---

(13) مفردات ألفاظ القرآن. الراغب الأصبهاني10.

(14) المصدر نفسه ، وينظر درة التنزيل305.

(15) وهو كتاب مطبوع بتحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات.

(16) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. حاجي خليفة1/739.

(17) هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. إسماعيل بن باشا البغدادي2/107.

لكتاب فخر الدين الرازي (درة التنزيل وغرة التأويل) عند حاجي خليفة"[18].

وقد مر بنا آنفاً أنه نسب كتاب الدرة إلى الخطيب الإسكافي. وهذا تذبذب واضح في رأيه .

والراجح عندي أن كتاب الدرة للخطيب الإسكافي ، وهناك أدلة عديدة تؤكد نسبة الكتاب إليه وهي ما يأتي:

1. ذكرنا آنفاً أن جميع من ترجم للخطيب الإسكافي ذكر من ضمن مصنفاته كتابه (درة التنزيل) .

2. عندما ذكر الزركشي والسيوطي من كتب في توجيه المتشابه اللفظي ذكرا درة التنزيل ونسباه إلى أبي عبد الله الرازي المعروف بالخطيب الإسكافي . وقد ذكرت ذلك في التعريف بالدرة .

3. يقول مملي كتاب الدرة إبراهيم بن علي بن محمد المعروف بابن أبي الفرج الأردستاني[19] في مقدمة الكتاب : "هذه المسائل في بيان الآيات المتشابهة لفظاً بأعلام نصبت عليها من المعنى، أملاها أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب رحمه الله تعالى في القلعة الفخرية إملاءً لمّا خلا فيها ولم يحضره غيري ممن يسوغ له حمل ما يكتب فيه ويكتب به، فكتبت عن لفظه المسائل والأجوبة"[20].

4. ذكر محمود بن حمزة الكرماني في كتابه (البرهان في توجيه متشابه القرآن) آراءً كثيرة ونصوصاً للإسكافي، وهذه الآراء مذكورة في الدرة، وسأذكر قسماً منها:

أ. البرهان120: "والخطيب ذهب إلى أن ما في الأعراف خطاباً لهما قبل الدخول، وما في البقرة بعد الدخول".

الدرة 5 : "ويكون أحد الخطابين لهما قبل الدخول والآخر بعده".

---

(18) تاريخ الأدب العربي12/539.

(19) لم أعثر على ترجمة له فيما وقفت عليه من المصادر.

(20) درة التتنزيل3.

ب. البرهان141،140: ''قال أبو مسلم حاكيًا عن الخطيب. . .وهو الوجه الذي دلّ الله عليه وأبانه.والثاني كان من الوجوه التي لهن أن يأتينه، فأخرج مخرج النكرة لذلك''.

الدرة29: ''وهو الوجه الذي دلّ الله عليه وأبانه . . .والثاني كان وجهًا من الوجوه التي لهن أن يأتينه،فأخرج مخرج النكرة لذلك''.

وهناك آراء أخرى ذكرها الكرماني ونسبها إلى الخطيب وهي موجودة في الدرة، وسأكتفي بذكر أرقام صفحاتها في البرهان والدرة:

1. البرهان138، الدرة27.
2. البرهان200، الدرة98.
3. البرهان220، الدرة119.
4. البرهان221، الدرة120.
5. البرهان225،224، الدرة122.
6. البرهان240، الدرة142.
7. البرهان245، الدرة148.
8. البرهان320، الدرة224.

أقول إن هذه الآراء والنصوص المبثوثة في (البرهان) والمنسوبة إلى الخطيب نجدها في كتاب (درّة التنزيل)، وهذا ما يؤيد نسبة الكتاب إليه .

التعريف بصاحب الدرة:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي ، أديب، لغوي، كاتب، شاعر، وهو من أهل أصبهان، وكان خطيبًا بالري. وهو أحد أصحاب الصاحب بن عبّاد. قال ابن عبّاد فيه : "فاز بالعلم من أهل أصبهان ثلاثة حائك وحلاّج وإسكاف، فالحائك أبو علي المرزوقي، والحلاّج أبو منصور بن ماشدة، والإسكاف أبو عبد الله الخطيب. من تصانيفه : مبادئ اللغة ، وشرح شواهد كتاب سيبويه ، ونقد الشعر ، ولطف التدبير في سياسات الملوك ، والغرّة وهو كتاب يتضمن شيئًا من غلط أهل الأدب ، ودرة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهة . توفي سنة إحدى عشرين وأربعمائة [21].

دراسة المفردة في درة التنزيل

المبحث الأول:دراسة اختلاف أبنية الألفاظ:

يدرس هذا المبحث اختلاف المفردات في أبنية ألفاظها،فقد نرى آيات متشابهة تختلف مفرداتها من حيث الاسمية والفعلية، أو تختلف فيها أبنية الأسماء من حيث صيغ الوصف، أو الإفراد والجمع، أو تباين صيغ جموعها، أو غير ذلك .

وكذلك أبنية الأفعال، فقد تختلف من حيث اختلاف أحرف الزيادة، أو الإدغام وعدمه، أو البناء للمعلوم والمجهول، وما إلى ذلك .وسنقف في هذا المبحث على سبب ذلك من خلال عرض رأي صاحب الدرة ومقارنته مع الآراء الأخرى .

أولاً:المفردة بين الاسمية والفعلية

ذكرنا أن هناك آيات متشابهة تختلف مفرداتها من حيث كونها اسمًا أو فعلاً، فقد ترد في موطن بالصيغة الاسمية وفي موطن آخر شبيه به بالصيغة

---

(21) مصادر الترجمة : معجم الأدباء18/214. 215، والوافي بالوفيات3/337، وبغية الوعاة1/149، ومعجم المؤلفين10/211.

الفعلية .من ذلك قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: (أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمُ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعْلَمونَ) الأعراف62 ، وقوله على لسان هود عليه السلام: (أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنا لَكُمْ ناصِحٌ أَمينٌ) الأعراف68 .

وقبل أن أقف على توجيه الخطيب وغيره من العلماء أبيّن ما يفيده كل من الاسم والفعل.

يذكر اللغويون أن الاسم يفيد الثبوت،والفعل يفيد الحدوث والتجدد،فإذا قلنا مثلاً:(سعيد متعلم)فقد أسندنا التعلم إلى سعيد على وجه الثبوت،وإذا قلنا(يتعلم سعيد)فقد أسندناه إليه على وجه الحدوث والتجدد .وإذا قلنا:(يتدرب علي)فقد أسندنا إليه الفعل على وجه الحدوث،أي تدرب بعد أن لم يكن يتدرب،ولكن إذا قلنا(علي متدرب) فقد أسندنا إليه هذا الوصف على وجه الثبوت،أي أن هذا الوصف ثابت لصاحبه.

يقول عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) وهو يتكلم على الفرق بين الإسناد إذا كان بالاسم أو بالفعل: ''وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئًا بعد شيء.وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئًا بعد شيء.فإذا قلت (زيد منطلق) فقد أثبت الانطلاق فعلاً له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئًا فشيئًا، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك (زيد طويل وعمرو قصير) فكما لا يقصد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط وتقضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك (زيد منطلق) لأكثر من إثباته لزيد. وأما الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك، فإذا قلت (زيد ها هو ذا ينطلق) فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءًا فجزءًا وجعلته يزاوله ويزجيه''[22] .

(22) دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني122، وينظر الإيضاح في علوم البلاغة. جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني1/99،78.

وقد وجّه الخطيب الإسكافي آيتي الأعراف بناءً على ما ذكرنا مما يفيده كل من الاسم والفعل فقال: إن سبب قول نوح في الآية الأولى:(وَأَنصَحُ لَكُمْ)أي بالصيغة الفعلية ،وقول هود في الآية الثانية :(وَأَنا لَكُمْ ناصِحٌ)أي بالصيغة الاسمية هو أن قول نوح . عليه السلام . جاء بعد أن رماه قومه بالضلال فقالوا له:(إنّا لنراك في ضَلالٍ مبينٍ . 60)،وأما قول هود فقد جاء بعد رميه بالسفاهة، حيث قال له قومه: (إنّا لَنَراكَ في سفاهة وإنّا لَنَظُنّكَ مِنَ الكاذِبينَ . 66)، والسفاهة صفة لازمة لصاحبها ثابتة فيه ،فأتى بالصيغة التي تدل على الثبوت فقال:(وَأَنا لَكُمْ ناصِحٌ) ،بخلاف الضلال فإنه وصف عارض يمكن تركه إلى نقيضه من الهدى،فناسبه الصيغة التي تدل على الحدوث فجاء بعده قوله: (وَأَنصَحُ) ليناسب الحدوث الحدوث والثبوت الثبوت[23].

ويوجههما الفخر الرازي توجيهًا آخر استنبطه أيضًا مما يفيده الاسم والفعل فيقول:''فلما كان من عادة نوح عليه السلام العود إلى تجديد تلك الدعوة في كل يوم وفي كل ساعة لا جرم ذكره بصيغة الفعل فقال: (وَأَنصَحُ لَكُمْ) وأما هود عليه السلام فقوله: (وَأَنا لَكُمْ ناصِحٌ)يدل على كونه مثبتًا في تلك النصيحة مستقرًا فيها''[24].

وذهب الآلوسي إلى ما ذهب إليه الرازي فقال: إن سبب ذلك هو ''تجدد النصح من نوح دون هود عليهما السلام''[25].ويقول في بيان سبب مجيء الفعل مضارعًا في دعوة نوح:''وصيغة المضارع للدلالة على تجدد نصحه عليه السلام لهم''[26].

---

(23) درة التنزيل84 ، وكشف المعاني في المتشابه من المثاني. بدر الدين بن جماعة179.

(24) مفاتيح الغيب. الفخر الرازي156/14.

(25) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي394/4.

(26) روح المعاني391/4، وينظر التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور150/8.

ويؤيد ما ذهب إليه الرازي والآلوسي ما جاء من قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: (قال رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا . . .وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ . . .ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا .ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) نوح5.9 ، فأسلوب هذه الآيات يشعر بالتجدد في دعوة نوح عليه السلام.

ثانيًا:أبنية الأسماء

قد نقف على آيات متشابهة تختلف في بنية أسمائها، وذلك كأن يكون الاختلاف في صيغ الوصف نحو (الأخسرون) بصيغة اسم التفضيل، و(الخاسرون) بصيغة اسم الفاعل، أو في المفردة من حيث إفرادها وجمعها نحو (معدودة) و(معدودات)، أو يكون التباين في صيغ الجموع نحو (خطاياكم) و(خطيئاتكم) .ولا بد أن نتيقن أن هذا الاختلاف دعا إليه سياق النص.

ونقف على نماذج مما وقف عليه صاحب الدرة من الآيات لنرى رأيه ورأي غيره من العلماء.

أ - اختلاف صيغ الوصف:

وذلك بأن يأتي الوصف في موطن على صيغة معينة، وفي موطن آخر شبيه به على صيغة أخرى.

من ذلك قوله تعالى: (لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ) هود22 ، وقوله في أخرى: (لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الخاسِرونَ) النحل109.

يرى الخطيب أنهم وصفوا بالأخسرين في آية هود لأنهم (يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَها عِوَجًا . 19) فهم لا يكتفون بضلالهم وإنما يضلون غيرهم ليكونوا في الضلال سواء فاستحقوا الوصف بالخسران بصيغة التفضيل. وأما في الآية الثانية فلم يخبر عن الكفار بأنهم مع ضلالهم أضلوا من سواهم ، وإنما قال

فيهم: (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين. 107) ولذا لم يذكر ما يوجب مضاعفة العذاب[27].

وذهب الكرماني إلى هذا الرأي فقال: ''لأن هؤلاء صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضلوا فهم الأخسرون يضاعف لهم العذاب ،وفي النحل صدوا فهم الخاسرون''[28].وقد ذكر هذا النص بحرفه الفيروزابادي في كتابه (بصائر ذوي التمييز) ولم ينسبه إلى أحد[29].

ب ـ اختلاف المفردة إفرادا وجمعا:

هناك آيات تختلف مفرداتها من حيث الإفراد والجمع،حيث ترد في موطن بصيغة الإفراد،وفي موطن آخر يشبهه بصيغة الجمع ، وذلك نحو قوله تعالى: (وَقالوا لَن تَمَسَّنا النّارُ إلاّ أَيّامًا معْدودةً)البقرة80 ، بإفراد الصفة،وبجمعها في قوله سبحانه: (وَقالوا لَن تَمَسَّنا النّارُ إلاّ أَيّامًا معدوداتٍ) آل عمران24 ، فما سبب ذلك؟

يذكر علماء اللغة في كلامهم على صفة جمع ما لا يعقل أن المفرد المؤنث إذا وقع صفة للجمع دل على أن الموصوف أكثر منه إذا كانت صفته جمعًا سالمًا نحو (أثواب رفيعة) و(أثواب رفيعات) فإن الصفة (رفيعة) تدل على أن الأثواب كثيرة، و(رفيعات) تدل على أنهن قليلات .

جاء في (درة الغواص) أن العرب ''ألحقوا بصفة الجمع الكثير الهاء فقالوا(أعطيته دراهم كثيرة)و(أقمت أيامًا معدودةً)،وألحقوا بصفة الجمع

---

(27) ينظر درة التنزيل119.

(28) البرهان في متشابه القرآن. محمود بن حمزة الكرماني220.

(29) ينظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي 248/1.

القليل الألف والتاء فقالوا (أقمت أيامًا معدوداتٍ)و(كسوته أثوابًا رفيعاتٍ)و(أعطيته دراهم يسيراتٍ)"[30].

وجاء في شرح الأشموني: "والأفصح في جمع القلة مما لا يعقل وفي جمع العاقل مطلقًا المطابقة نحو (الأجذاع انكسرن) و (منكسرات)و(الهندات انطلقن) و (منطلقات).والأفصح في جمع الكثرة مما لا يعقل الإفراد نحو (الأجذاع انكسرت) و (منكسرة)"[31].

وعلى هذا فإن قوله تعالى مخبرًا عن نعيم الجنة: (فيها سُرُرٌ مرْفوعَةٌ.وَأَكْوابٌ موْضوعَةٌ.وَنَمارِقُ مَصْفوفَةٌ.وَزَرابِيُّ مَبْثوثَةٌ) الغاشية13.16 ، يدل على أن في الجنة سررًا وأكوابًا ونمارق وزرابي كثيرة. ولو قال(مرفوعات ، موضوعات ، مصفوفات ، مبثوثات)لدل على أنهن قليلات ، وقوله تعالى: (وَاذْكُروا اللهَ في أَيّامٍ معْدوداتٍ) البقرة203 ، يدل على أن هذه الأيام قليلات.وكذلك في قوله: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ معْلوماتٌ) البقرة197 ، لأن أشهر الحج قليلات.

وعلى هذا فلا نتفق مع الخطيب في قوله: "فأما المعنى في القلة فسواء في قوله معدودة ومعدودات"[32].كما لا نتفق مع ما ذهب إليه ابن عاشور في قوله: "إن (معدودات) أكثر من (معدودة)"[33] لأن الأيام المعدودة أكثر من الأيام المعدودات.

ولم يوجّه الخطيب هاتين الآيتين بناءً على ما ذكره النحاة في صفة جمع ما لا يعقل،وإنما نراه يقول: "فمعدودة المذكورة في هذه السورة [أي:سورة البقرة] مستمرة في بابها وباب غيرها،والجمع بالألف والتاء ليس بمستمر،وإنما هو على ضرب من التشبيه بما أصله الألف والتاء فكان استعمالها أولى.ولجواز الألف

---

(30) درة الغواص في أوهام الخواص. القاسم بن علي الحريري101.

(31) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. علي بن محمد الأشموني7/1.

(32) درة التنزيل12.

(33) التحرير والتنوير160/2.

والتاء على غير طريق الاستمرار استعمل في الثاني ليشمل الأصل والجائز بالاستعمال"[34].

ومعنى كلامه هذا أن الأصل في صفة الجمع أن يكون بالتاء،وأما الجمع بالألف والتاء فهذا على غير الأصل. أي أن آية البقرة قد جاءت على الأصل لسبقها، وأما آية آل عمران فقد جاءت على غير الأصل لتأخرها .ولنا أن نتساءل :لمَ لم ترد كلتا الآيتين على نسق واحد ؟

ولعل الصواب توجيههما على وفق ما ذكرناه من استعمال العرب لصفة جمع ما لا يعقل . وقد وجههما الدكتور فاضل السامرائي على وفق ذلك فقال: إن الكلام في الآية الأولى "على بني إسرائيل وقد أكثر من الكلام عليهم وفي صفاتهم السيئة،فذكر أنهم يحرّفون كلام الله وهم يعلمون.قال تعالى: (أَفَتَطْمَعونَ أَن يُؤْمِنوا لَكُمْ وَقَدْ كانَ فَريقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفونَهُ مِن بَعْدِ ما عَقَلوهُ وَهُمْ يَعْلَمونَ ❖وَإِذا لَقوا الَّذينَ آمَنوا قالوا آمَنّا وَإِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قالوا أَتُحَدِّثونَهُم بِما فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحاجّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلونَ) البقرة 75- 76.

فهم يعرفون جرمهم ويقرّون به ويعملون به عن قصد وإصرار وقد توعدهم الله بالعذاب الشديد فقال: (فَوَيْلٌ لِلَّذينَ يَكْتُبونَ الكِتابَ بِأَيْديهِمْ ثُمَّ يَقولونَ هذا مِن عِندِ اللهِ لِيَشْتَروا بِهِ ثَمَنًا قَليلاً فَوَيْلٌ لَهُم مِمّا كَتَبَتْ أَيْديهِمْ وَوَيْلٌ لَهُم مِمّا يَكْسِبونَ) البقرة79 .

إذن فهم يعملون بالجرم عن قصد ويحرفونه عن علم ليشتروا به ثمنًا قليلاً .وإذن فهم يعلمون أن الله معاقبهم على هذا الجرم فقالوا: (أَيّامًا معْدودةً)فجاء بصيغة الكثرة.

وليس الأمر كذلك في آية آل عمران فقد قال: (أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذينَ أُوتوا نَصيبًا مِنَ الكِتابِ يُدْعَوْنَ إِلى كِتابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلّى فَريقٌ مِنْهُمْ وَهُم

---

(34) درة التنزيل12..

معْرِضونَ ❖ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالوا لَن تَمَسَّنا النّارُ إلاّ أَيّامًا معْدوداتٍ وَغَرَّهُمْ في دينِهِم ما كانوا يَفْتَرونَ) آل عمران 23-24 .

فليس في آية آل عمران مثل الجرم المذكور في سورة البقرة من ارتكاب الذنب العمد وتحريف كلام الله ، ففرق كبير بين المقامين ،فجاء بزمن العذاب الطويل للجرم الكبير،والقليل للذنب القليل فقال: (معدودات) بصيغة جمع القلة في آل عمران،بخلاف آية البقرة"(35).

ج - تباين صيغ الجموع:

من المعروف في اللغة العربية أن الاسم الواحد قد يكون له أكثر من جمع ، فيجمع جمع مذكر سالمًا تارة ، وجمع تكسير تارة أخرى نحو كلمة (نبي)التي تجمع على نبيين وأنبياء،وقد يجمع الاسم جمع مؤنث مرة وجمع تكسير مرة أخرى نحو كلمة (سنبلة)التي تجمع على سنبلات وسنابل.وقد يتباين الاسم في جمع التكسير فيأتي مرة على صيغة،ومرة ثانية على صيغة أخرى نحو كلمة (بحر)، فقد تجمع جمع قلة على (أبحر) نحو قوله تعالى: (وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) لقمان27 ، وقد تجمع جمع كثرة على (بحار) نحو قوله تعالى: (وإذا الْبِحارُ فُجِّرَتْ) الانفطار3.

وقد جاءت هذه الصور من الجموع في الآيات المتشابهة في القرآن الكريم ،فقد نرى آيتين متشابهتين يكون الاختلاف بينهما في صيغ الجموع .ولنضرب على ذلك مثلاً مما ذكره صاحب الدرة وهو كلمة (خطيئة)، فقد جمعت في موطن جمع مؤنث على (خطيئات) وذلك في قوله تعالى: (وإذ قيلَ لَهُمْ اسْكُنوا هذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ وَقولوا حِطَّةٌ وَادْخُلوا البابَ سُجَّدًا نغْفِرْ لَكُمْ خَطيئاتِكُمْ سَنَزيدُ الْمُحْسِنينَ) الأعراف161.

(35) التعبير القرآني. الدكتور فاضل صالح السامرائي42،41.

وجمعت في موطن آخر جمع تكسير على(خطايا) وذلك في قوله تعالى مخبرًا عنهم أيضًا: (وإذ قُلْنا ادْخُلوا هذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلوا البابَ سُجَّدًا وَقولوا حِطَّةٌ نغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ وَسَنَزيدُ الْمُحْسِنينَ) البقرة58.

أقول على الرغم من أن الخطاب في الموطنين لبني إسرائيل قال في آية البقرة (خَطاياكُمْ)وفي آية الأعراف(خَطيئاتِكُمْ) فما سبب هذا التخصيص؟

يذكر النحاة أن الجمع السالم بنوعيه يفيد القلة (من الثلاثة إلى العشرة) وجمع التكسير يفيد الكثرة(ما فوق العشرة) [36].ومعنى هذا أن كلمة (خطيئة)جمعت في آية البقرة جمع كثرة لأنه جمع تكسير،وفي آية الأعراف جمع قلّة لأنه جمع مؤنث.قال الخطيب الإسكافي :''فأما الكلام في (الخطايا) واختيارها في سورة البقرة فلأنها بناء موضوع للجمع الأكثر،والخطيئات جمع السلامة وهي الأقل''[37].

ثم يوجّه هاتين الآيتين بناءً على هذه القاعدة فيقول:إن سبب ذلك هو أن الله تعالى أسند القول إلى نفسه في آية البقرة فناسب هذا أن تأتي كلمة (خطيئة) مجموعة جمع تكسير ليفيد أنه يغفر لهم خطاياهم مهما كانت كثيرة،بخلاف آية الأعراف فإنه لما لم يسند القول فيها إلى نفسه ،وإنما قال (وإذ قيلَ لَهُمْ) أتى بجمع القلّة فقال خطيئات [38].وقد ذهب هذا المذهب جماعة من العلماء كالكرماني والرازي وأبي حيان وغيرهم [39].

---

(36) الكتاب. أبو بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه1/181. 182، وشرح المفصل. موفق الدين بن يعيش 10/5، ومعاني الأبنية في العربية. الدكتور فاضل صالح السامرائي 135.

(37) درّة التنزيل8.

(38) المصدر نفسه.

(39) ينظر البرهان124 ومفاتيح الغيب3/100 والبحر المحيط. أبو حيان الأندلسي1/387 وبصائر ذوي التمييز1/143.

وأما برهان الدين البقاعي فقد رأى أن سبب التخصيص[40] هو أن آية البقرة جاءت في مقام تعداد النعم والآلاء على بني إسرائيل،فجاءت كلمة (خطايا) على جمع التكسير الذي يفيد الكثرة ليناسب ما قصد به من تكثير الآلاء والنعم.بخلاف آية الأعراف فإنها لم تبن على تعداد النعم على بني إسرائيل كما بنيت عليه آية البقرة، فجاءت مجموعة جمع مؤنث الذي يفيد القلة[41].ولتوضيح رأيه أقول:

إن آية البقرة جاءت في مقام تعداد النعم على بني إسرائيل كما نرى ذلك في الآيات التي تكتنفها. قال تعالى: (يا بني إسْرائيلَ اذْكُروا نِعْمَتِيَ الَّتي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنّي فَضَّلْتُكُمْ عَلى الْعالَمينَ. . . وَإِذْ نَجَّيْناكُم منْ آلِ فِرْعَوْنَ. . . وَإِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْناكُمْ وَأَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرونَ . وَإِذْ واعَدْنا موسى أَرْبَعينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظالِمونَ . ثُمَّ عَفَوْنا عَنكُم من بَعْدِ ذلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرونَ . وَإِذْ آتَيْنا موسى الْكِتابَ وَالْفُرْقانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدونَ . . . وَظَلَّلْنا عَلَيْكُم الْغَمامَ وَأَنزَلْنا عَلَيْكُم الْمَنَّ وَالسَّلْوى كُلوا مِن طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ . . . وَإِذْ قُلْنا ادْخُلوا هذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلوا الْبابَ سُجَّدًا وَقولوا حِطَّةٌ نغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ وَسَنَزيدُ الْمُحْسِنينَ . . . وَإِذْ اسْتَسْقى موسى لقومه فَقُلْنا اضْرِب بعَصاكَ الحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مشْرَبَهُمْ كُلوا وَاشْرَبوا من رزْقِ اللهِ. 60.47).

نلاحظ أن آية البقرة جاءت في سياق تعداد النعم على بني إسرائيل وتكريمهم، فناسب هذا التكريم مجيء (خطايا) بصورة جمع تكسير ليبين لنا أن الله يغفر لهم خطاياهم مهما كثرت.

---

(40) المقصود بمصطلح التخصيص في هذا البحث هو أن الآية اشتملت في هذا الموطن على ذلك اللفظ دون غيره.

(41) ينظر نظم الدرر في تناسب الآي والسور. برهان الدين البقاعي1/396.

وهذا بخلاف آيات الأعراف فإن المقام فيها مقام تقريع وتأنيب،قال تعالى: (وجاوَزْنا بِبَني إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلى قَوْمٍ يعكفون على أصنام لهُمْ قالوا يا موسى اجْعَل لنا إلهًا كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلونَ. 138)فإنهم من بعد ما أنجاهم الله من البحر وأغرق فرعون وآله وهم ينظرون إليهم مرّوا على قوم يعبدون الأصنام فطلبوا من موسى أن يجعل لهم أصنامًا يعبدونها تأسيًا بهم.وعندما ذهب موسى لميقات ربه عبد قومه العجل، قال تعالى: (واتَّخَذَ قَوْمُ موسى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوار. 148) . ثم إنهم كانوا ينتهكون محارم الله،فقد حرّم الله عليهم أن يصطادوا يوم السبت تعظيمًا لحرمته فانتهكوها وأخذوا يحتالون لاصطياد الحيتان في هذا اليوم، قال تعالى: (واسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدونَ في السَّبْتِ إِذْ تَأْتيهِمْ حيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتونَ لا تَأْتيهِمْ كَذلِكَ نَبْلوهُم بِما كانوا يَفْسُقون . 163).نلاحظ في آيات الأعراف أن المقام مقام تقريع وتأنيب وتعداد سيئات ارتكبها بنو إسرائيل،فناسب هذا المقام مجيء (خطيئة)مجموعة بالألف والتاء لتدل على القلّة.

ولعل كلا التوجيهين مقبول ومراد ، فالله سبحانه وتعالى عدّد النعم على بني إسرائيل وأضاف القول إلى نفسه في آيات البقرة فناسب هذا التعداد وهذا التكريم جمع التكسير الذي يفيد الكثرة بخلاف آيات الأعراف والله أعلم.

ثالثًا ـ أبنية الأفعال:

تمر بنا آيات متشابهة تختلف في أبنية أفعالها،ويكون هذا الاختلاف في أحرف الزيادة نحو (نجّى) و (أنجى)، و(نزّل) و (أنزل)، أو في الإدغام وعدمه نحو (يشاقّ) و (يشاقق)، أو في البناء للمعلوم والمجهول نحو (يطوف) و (يطاف).

وقد كان للخطيب وقفات على هذه الآيات،ونريد أن نقف على نماذج مما وقف عليه لنرى توجيهه فيها.

أ ـ اختلاف أحرف الزيادة:

قد يرد الفعل مزيداً في آيتين متشابهتين ولكن الاختلاف في أحرف الزيادة، فيأتي في موطن على صيغة (فعّل) وفي موطن آخر على صيغة (أفعل) مثل نجّى وأنجى،ونزّل وأنزل،ولا يوجد فرق معنوي بينهما،ولكن نقول:لا بدّ أن يكون بينهما ما يستدعي أن يكون استعمال الفعل في موطن على(فعّل) وفي موطن شبيه به على (أفعل) بحيث لا يمكن استعمال (فعّل) في موطن (أفعل) ولا العكس.

وقبل أن نقف على ما ذكره الخطيب من هذه الآيات المتشابهة ونعرف سبب التخصيص فيها يحسن أن نمهد القول بالوقوف على معنى صيغة (فعّل) ومعنى صيغة (أفعل).

يقول اللغويون:إن صيغة (فعّل) تفيد التكثير والمبالغة غالبًا بخلاف صيغة (أفعل) فإنها تأتي للتعدية.جاء في (أدب الكاتب):''وتدخل (فعّلت) على (فعَلت) إذا أردت كثرة العمل،فتقول (قطّعته) باثنين و(قطّعته) آرابًا .وكذلك (كسّرته) و (كسَرته) و(جرّحته) و(جرَحته) إذا أكثرت الجراحات في جسده،و(جوّلت في البلاد) و (طوّفت) إذا أردت كثرة التطواف والجوَلان فيها''[42].وجاء في (شرح الرضي على الشافية):''الأغلب في (فعّل) أن يكون لتكثير فاعله أصل الفعل''[43].

ومن الآيات المتشابهة التي ذكر فيها هذا الفعل تارة على صيغة (فعّل) وتارة أخرى على صيغة (أفعل) قوله تعالى في نوح عليه السلام والمؤمنين معه: (فَكَذَّبوه فَأَنجَيناهُ وَالَّذينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنا الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانوا قَوْمًا عَمينَ) الأعراف64 ، وقوله فيهم أيضًا: (فَكَذَّبوه فَنَجَّيناهُ وَمَن مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنا الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا فَانظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنذَرينَ) يونس73. قال الخطيب وهو يوجه كلتا الآيتين:إن''(أنجيناه) أصل في

(42) أدب الكاتب. أبو محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري345.

(43) شرح شافية ابن الحاجب. رضي الدين الإستراباذي1/92.

هذا الباب،لأن (أفعلت) في باب النقل أصل ل(فعلت) وهو أكثر،تقول: نجا وأنجيته، كما تقول:ذهب وأذهبته ودخل وأدخلته وخرج وأخرجته . . .فالآية الأولى جاءت على الأصل الأكثر،ولهذا أكثر ما جاء في القرآن جاء على(أنجينا) كقوله: (فَأَنجَيناهُ وَالَّذينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ منّا)الأعراف72 ، وكقوله: (وأنجَينا موسى وَمَن معَهُ أَجْمَعينَ)الشعراء65 ، وقوله: (فَأَنجاهُ اللهُ مِنِ النّارِ) العنكبوت24. . .وأما قوله: (وَالَّذينَ مَعَهُ في الْفُلْكِ) فهو الأصل،و(من) تجيء بمعناها وتكونان مشتركتين في معانٍ،و(الذين)خالصة للخبر مخصوصة بالصلة ، فاستعمل الأصل في اللفظتين(أنجينا)و(الذين).ولما كرر هذا الذكر كان العدول إلى اللفظين الآخرين اللذين هما بمعناهما وهما (نجّينا)و(من) أشبه بطريقة الفصحاء وعادة البلغاء"[44].

ولي أكثر من ملاحظة على هذا النص وهي ما يأتي:

1. يقول الخطيب:إن "الآية الأولى جاءت على الأكثر الأصل".ولا أدري لمَ لم ترد آية يونس على الأصل أيضًا؟إذن لأمكن مجيء (الذين)فيها.
2. ويقول:"ولهذا أكثر ما جاء في القرآن جاء على (أنجينا)".والحق أننا إذا رجعنا إلى (القرآن الكريم) فإننا نرى أن استعمال الفعل (نجّى) وما يتصرف منه يزيد على استعمال الفعل (أنجى) وما يتصرف منه بأربع عشرة مرة[45]. فقد ورد الفعل (نجّى) وما يتصرف منه في سبعة وثلاثين موطنًا وهي : البقرة49 ، الأنعام64،63، الأعراف89، يونس103،92،86،73، هود 58(مرتان)،94،66 ، يوسف110، الإسراء67، مريم72، طه40، الأنبياء 88،76،74،71، المؤمنون28، الشعراء170،169،118، القصص21، العنكبوت65،23، لقمان32، الصافات134،115،76، الزمر61، فصلت18، الدخان30، القمر34، التحريم11(مرتان).

---

(44) درة التنزيل85.

(45) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. محمد فؤاد عبد الباقي(مادة نجو).

في حين ورد الفعل(أنجى) وما يتصرف منه في ثلاثة وعشرين موطنًا وهي : البقرة50، الأنعام63، الأعراف165، 141، 83، 72، 64، يونس103، 23، 22، هود116، إبراهيم6، طه80، الأنبياء88، 9، الشعراء65، 119، النمل57، 53، العنكبوت24، 15، الصف10، المعارج14.

والفرق بينهما أربع عشرة مرة .

3. ويقول:إن مجيء (أنجى)الذي هو الأصل مناسب للاسم الموصول(الذين)الذي هو الأصل في الصلة.

وأقول :إذا كان كلامه صحيحًا فلماذا اجتمع (أنجى)مع الاسم الموصول(مَن) في قوله تعالى:(فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن معَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحونِ) الشعراء119 ؟

وقد وجههما الكرماني بناءً على ما تفيده كلمة (نجّى) من الكثرة والمبالغة فقال:''إن التشديد يدل على الكثرة والمبالغة فكان في يونس (وَمَن معَهُ)، ولفظ(مَن) يقع على أكثر مما يقع عليه (الذين) لأن (مَن) تصلح للواحد و التثنية والجمع والمذكر والمؤنث ،بخلاف(الذين)فإنه لجمع المذكر فحسب،فكان التشديد مع (مَن) أليق''(46).

وهذا الربط بين ما يفيده الفعل (نجّى) من الكثرة والمبالغة وبين سعة استعمال (مَن) ربط جميل، ولكنه غير مطّرد في القرآن الكريم ، فقد نلاحظ في القرآن اجتماع (مَن) مع (أنجى) وذلك في قوله تعالى: (فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن معَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحونِ) الشعراء119 .

وأما ابن الزبير فقد قال في توجيهه :''لما ورد في الأولى (فأنجيناه) بزيادة همزة النقل المثبت لها صورة الألف في الخط ونطق يخصها بحركة الهمزة فطالت الكلمة بالألف خطًا وبالنطق بحركة الهمزة لفظًا ناسبها الموصول الذي هو(الذين) لزيادة حروفه على حروف(مَن). ولما قيل في الثانية(فنجّيناه)فجيء

(46) البرهان190.

بما هو أخصر في الخط، ناسبه من الموصولات (مَن) المفرد في معنى (الذي) وهو أخصر"[47].

ومعنى كلامه هذا أن في(أنجى) زيادة همزة على(نجّى) في الخط،وهذه الزيادة ناسبها الاسم الموصول (الذين) الذي يزيد حروفه على حروف (مَن).أما (نجّى) فهي أخصر في الخط من (أنجى)،فناسبه (مَن) الذي هو أخصر من (الذين).

ولكن هذا التوجيه غير مطّرد أيضًا،فقد نجد من الآيات ما يجتمع فيها(مَن) مع الفعل (أنجى) وذلك نحو ما ذكرناه من قوله تعالى: (فَأَنجَيْناهُ وَمَن معَهُ في الْفُلْكِ الْمَشْحونِ) الشعراء119 .

ويقول الدكتور فاضل السامرائي: "إن القرآن الكريم كثيرًا ما يستعمل(نجّى) للتلبث والتمهل في التنجية ويستعمل (أنجى) للإسراع فيها ،فإن (أنجى) أسرع من (نجّى) في التخليص من الشدة والكرب"[48].

ويمكننا أن نوجه آيات الأعراف ويونس والشعراء بناءً على هذا الرأي ونتوصل من خلاله إلى سبب تخصيص كل آية بما خصت به فنقول:

يقول الله تعالى في سورة الأعراف: (لقَد أَرْسَلْنا نوحًا إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدوا اللهَ ما لَكُم منْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظيمٍ .قالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنّا لَنَراكَ في ضَلالٍ مبينٍ.قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بي ضَلالَةٌ وَلكِنّي رَسولٌ من ربِّ الْعالَمينَ. . .فَكَذَّبوهُ فَأَنجَيْناهُ وَالَّذينَ مَعَهُ في الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنا الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانوا قَوْمًا عَمينَ. 64.59) .

ويقول في سورة يونس: (واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نوحٍ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِن كانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مقامي وَتَذْكيري بِآياتِ اللهِ فَعَلى اللهِ تَوَكَّلْتُ. . . فَكَذَّبوهُ فَنَجَّيْناهُ وَمَن معَهُ في الْفُلْكِ. 73.71).

---

(47) ملاك التاويل1/406.

(48) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. الدكتور فاضل صالح السامرائي70.

ويقول في سورة الشعراء: (كذبَتْ قَوْمُ نوحٍ الْمُرْسَلينَ.إذْ قالَ لَهُمْ أخوهُمْ نوحٌ أَلا تَتَّقونَ. . . قالوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلونَ.قالَ وَما عِلْمي بِما كانوا يَعْمَلونَ. . .قالوا لَئِن لمْ تَنتَهِ يا نوحُ لَتَكونَنَّ مِنَ الْمَرْجومينَ. . .فَأَنجَيْناهُ وَمَن معَهُ في الْفُلْكِ الْمَشْحونِ. 105. 109).

نلاحظ في هذه الآيات أن المحاجّة في آيات الأعراف والشعراء أقوى منها في آية يونس، فلم يذكر من المحاجّة في آيات يونس إلا أنهم كذّبوه.أما في آيات الأعراف فقد ذكر أنهم رموه بالضلال،وفي آيات الشعراء ذكر أنهم ازدروا أتباعه وهددوه بالرجم إن لم ينته عن دعوتهم،فاستدعى الموقف في آيات الأعراف والشعراء ذكر الإسراع في إنجائه مع من آمن به بخلاف آية يونس والله أعلم.

ب ـ الفعل بين الإدغام وفكه :

قد نقف على آيات قرآنية متشابهة فيها أفعال تختلف من حيث الإدغام وعدمه، فترد مدغمة في موطن،وفي موطن آخر يشبهه غير مدغمة نحو (يشاقّ. يشاقق)و(يتضرّعون. يضرّعون)و(يتزكّى. يزّكّى).

ولا يوجد فرق في المعنى بين الفعل المدغم ونظيره غير المدغم،ولكن لا يعني عدم وجود فرق معنوي بينهما أن القرآن الكريم استعملهما بصورة اعتباطية،وإنما كان الاستعمال لغرض يقتضيه سياق النص.

ومن الآيات التي وقف عليها الخطيب الإسكافي قوله تعالى: (ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شاقّوا اللهَ وَرَسولَهُ وَمَن يُشاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَديدُ العِقابِ) الحشر4 ، وقوله: (ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شاقّوا اللهَ وَرَسولَهُ وَمَن يُشاقِقِ اللهَ وَرَسولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَديدُ العِقابِ) الأنفال13 وقوله: (وَمَن يُشاقِقِ الرَّسولَ مِن بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبيلِ الْمُؤْمِنينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصيرًا) النساء115.

يبين الخطيب سبب التخصيص في هذه الآيات فيقول:"إن الأصل في ذلك إذا قويت الحركة في القاف أن تدغم . . . فقوله تعالى: (وَمَن يُشاقِّ اللهَ) قد قويت الحركة منه في القاف الأخيرة لأنها لاقت كلمة قد لزم أولها السكون

وهي اللام الأولى من (الله) . . . فقويت الحركة في القاف التي تلاقي هذا الساكن لأنها لا تلاقي سواه مما علّق الفعل به . وليس كذلك (وَمَن يُشاقِقِ اللهَ وَرَسولَهُ) لأن القاف قد تلاقي ما يتعلق بها متحرّكًا وهو (رسوله)، لأن التقدير (ومن يشاقق رسول الله)فلم يخلص القاف فيما يتعلق بها للحركة كما خلصت له في الأول. وأما قوله: (ومَن يُشاقِقِ الرَّسولَ مِن بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى) فليس الساكن من (الرسول) الذي يلاقيه القاف كالساكن من لفظة الله تعالى لأنه قد يحذف فيصح لملاقاة القاف متحرّكًا منه نحو (ومن يشاقق رسول الله)"[49].

وعلى الرغم من جمال هذا الرأي وجودته فقد يعترض عليه معترض فيقول:إن تقدير قوله تعالى: (وَمَن يُشاقِقِ اللهَ وَرَسولَهُ) بـ(ومن يشاقق رسول الله)فيه تكلف واضح، لأن المشاقّة وردت مع لفظة (الله) مباشرة،فأن نقدّر مشاقّة الله بأنها مشاقّةٌ لرسوله فيه تكلف واضح.

وهناك قاعدة في التفريق بين استعماليهما وهي أن القرآن الكريم "يستعمل الفك حيث ورد ذكر الرسول، وحيث لم يرد ذكر الرسول بل ورد ذكر الله وحده أدغم . . .ولعله وحّد الحرفين في حرف واحد لأنه ذكر الله وحده وفكّهما وأظهرهما لأنه ذكر الله والرسول فكانا اثنين"[50] .

ومن المفسرين من ذهب إلى أن الإدغام لغة تميم، والفك لغة الحجاز،فورد في آية الحشر على لغة تميم ، وفي آيتي الأنفال والنساء على لغة الحجاز[51].

---

(49) درة التنزيل273وينظر البرهان للكرماني.157.

(50) الجملة العربية والمعنى . الدكتور فاضل صالح السامرائي262.

(51) البحر المحيط4/466.

ج - بناء الفعل للمعلوم والمجهول:

هناك آيات متشابهة ذكرت أفعال مبنية للمعلوم في مواطن منها ومبنية للمجهول في مواطن أخرى. وقد ذكر الخطيب من هذه الآيات قوله تعالى في سورة الإنسان: (ويُطافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ من فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ كانَتْ قَواريرا . قَواريرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّروها تَقْديرًا . 16،15) ببناء الفعل(يطاف)للمجهول، وقوله في السورة نفسها: (ويَطوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدونَ إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا منثورًا .19) ببنائه للمعلوم.

نلاحظ في هذه الآيات أن الفعل المبني للمجهول قد سبق الفعل المبني للمعلوم،وهذا على خلاف ما هو معروف في اللغة من تقديم المبني للمعلوم على المبني للمجهول لكي يغني ذكر الفاعل في المرة الأولى عن ذكره في المرة الثانية،فما سبب ذلك؟

يقول الخطيب :''إن القصد في الآية الأولى وصف ما يطاف به من الأواني دون وصف الطائفين،فلما كان المعتمد بالإفادة ذاك بني الفعل مقصودًا به ذكر المفعول لا الفاعل . . . وأما الموضع الثاني الذي سمي فيه الفاعل وهو قوله: (ويَطوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدونَ) فإن القصد فيه وصف الفاعلين الذين يطوفون بهذه الآنية ،فوجب ذكرهم لتعلق الصفة بهم''(52).

ويوضح الدكتور عودة الله القيسي ما ذهب إليه الخطيب ومن ذهب مذهبه فيقول:''إن المبني للمجهول تقدم المبني للمعلوم لأن السياق الذي ورد فيه المبني للمجهول كان تعداد النعم التي يتمتع فيها المؤمن في الجنة . . . فناسب ذلك أن تذكر آنية الفضة والأكواب القوارير التي كانوا يشربون بها لأنها من جملة النعم . فإذا انتهى من تعداد ذلك كان لائقًا التعقيب بذكر هؤلاء الغلمان الذين يقومون بخدمة المؤمنين ويقدمون لهم ما يقدم من ألوان هذه النعم التي ذكرت قبلُ.وإنه لمن المعقول حقًّا أن يتقدم تعداد النعم على من يقومون

(52) درة التنزيل292. وينظر بصائر ذوي التمييز1/494والبرهان للكرماني354.

بتقديمها،لأن من طبيعة الأشياء أن لا يكون للمرء خدم وحشم إلا إذا كان صاحب نعمة"،(53).

وهكذا رأينا أن كل كلمة جاءت في المكان الذي يقتضيه سياق النص والله أعلم .

المبحث الثاني:دراسة أحوال المفردة

يعرض هذا المبحث أحوال المفردة في الآيات المتشابهة فيدرسها من حيث التنكير والتعريف،ومن حيث تذكير الفعل في موطن وتأنيثه في موطن آخر شبيه به، وأخيرًا يعرض الفروق اللغوية بين الآيات المتشابهة.

أولاً:التنكير والتعريف

سنقف في هذا الموضوع على النكرة والمعرفة لنرى سبب مجيء الاسم نكرة في آية، ومعرفة في آية أخرى شبيهة بها .ثم نتكلم بعد ذلك على أنواع المعارف لنرى سبب مجيء الاسم معرفًا بـ(أل) في آية ،ومعرفًا بالإضافة في آية أخرى شبيهة بها، ثم نذكر الضمير والاسم الموصول في نماذج من الآيات المتشابهة التي ذكرت في الدرة .

أ. النكرة والمعرفة:

يعرّف النحاة النكرة بأنه ما كان شائعًا في جنس موجود أو مقدّر ،والمعرفة ما استعمل في شيء بعينه (54).وقد وردت آيات متشابهة تختلف مفرداتها من حيث التنكير والتعريف،حيث وردت في مكان نكرة وفي مكان آخر شبيه به معرفة .وقد كان للخطيب الإسكافي توجيهات لبعض هذه الآيات استند فيها على الفرق بين

---

(53) سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن. الدكتور مودة الله منيع القيسي .102.101

(54) ينظر شرح الكافية الشافية. جمال الدين أبو عبد الله بن مالك الطائي1/222وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل. محمد الخضري الشافعي1/53.

النكرة والمعرفة .من ذلك قوله تعالى: (فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فيما فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعروفِ وَاللهُ بِما تَعْمَلونَ خَبيرٌ) البقرة234 ، بتعريف (المعروف)، وقوله في السورة نفسها: (والَّذينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذرونَ أَزْواجًا وَصِيَّةً لأَزْواجِهِم متاعًا إِلى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْراجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فيما فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن معْروفٍ وَاللهُ عَزيزٌ حَكيمٌ. 240)بتنكيره، فما سبب ذلك؟

يذكر الخطيب أن المقصود بـ(المعروف) المعرّفة في الآية الأولى الزواج خاصة ،وأما غير المعرفة فيراد به ما لم يستنكر فعله من خروج أو تزين ونحوه فيقول:''إن الأول تعلق بقوله : (والَّذينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذرونَ أَزْواجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فيما فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعروفِ) أي لا جناح عليكم في أن يفعلن في أنفسهنّ بأمر الله ، وهو ما أباحه لهن من التزوج بعد انقضاء العدة.فالمعروف ههنا أمر الله المشهور ، وهو فعله وشرعه الذي شرعه وبعث عليه عباده . والثاني المراد به :فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهنّ من جملة الأفعال التي لهنّ أن يفعلن من تزوج أو قعود ، فالمعروف ههنا فعل من أفعالهن يعرف في الدين جوازه وهو بعض ما لهن أن يفعلنه''(55).

وممن ذهب إلى هذا الرأي بدر الدين بن جماعة الذي يقول:''إن المراد بالآية الأولى ما شرعه الله تعالى من الأحكام ،ولذلك عرّفه بالألف واللام وبالإلصاق.وفيما فعلن:أي من التعرض للخطّاب بالمعروف.

والمراد بالثانية :أفعالهن بأنفسهن من مباح مما يتخيرنه من تزين للخطّاب وتزويج أو قعود أو سفر أو غير ذلك مما لهن فعله ،ولذلك نكره وجاء فيه بـ(من)''(56).

---

(55) درة التنزيل29.

(56) كشف المعاني116،وينظر البرهان للكرماني.140، وبصائر ذوي التمييز1/155.

وقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي أن هناك أمورًا عدة تدل على ذلك ''منها:أن الآية الأولى ذكر فيها قوله : (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)، فقوله: (يتربصن) معناه:يصبّرن أنفسهن هذه المدة ليتسنى لهن الزواج ، ثم ذكر العدة التي يحق لهن التزوج بعدها .ثم جاء بالباء الدالة على الإلصاق ، والزواج إلصاق كما قال تعالى: (هُنَّ لِباسٌ لكُمْ وَأَنتُمْ لِباسٌ لهُنّ. .) البقرة187.

وليس الأمر كذلك في الآية الأخرى ،فإنه ليس هناك ذكر للتربص ولا للعدة التي يحق لهن التزوج بعدها .ومن ناحية أخرى عرّف (المعروف) المقصود به الزواج لأن الزواج شيء واحد معروف،ونكّر الثاني لأنه لم يقصد به فعل معين،بل كل ما كان مباحًا لهن في الشرع فنكّره لذلك''(57).

ب ـ أنواع المعارف:

المعرفة أنواع عديدة ،فمنها المعرّف بـ(أل) والمعرّف بالإضافة والاسم الموصول والضمير وغير ذلك .وقد نقف على آيتين متشابهتين إحداهما معرفة بـ(أل) والأخرى بالإضافة.وكذلك الضمير فقد نجده مذكرًا في موطن ومؤنثًا في موطن آخر شبيه به.وهذا في الاسم الموصول أيضًا،فقد يرد (الذي) في موطن، و(ما) في موطن آخر مشابه له، أو يرد (مَن) في موطن و(ما) في الموطن المشابه . . وهكذا. ونؤكد على أن هذا الاختلاف مقصود بحيث نرى أن القرآن الكريم يراعيه بدقة .

(57) التعبير القرآني191.

وقد كان للخطيب وقفات على هذا النوع من المتشابه . ونريد أن نعرض نماذج من الآيات التي ذكرها في كتابه:

1. المعرّف بـ(أل) والإضافة :

قد نقف على آيتين متشابهتين إحداهما معرفة بـ(أل) والأخرى بالإضافة، من ذلك قوله تعالى: (وإنَّ عَلَيْكَ اللعْنَةَ إلى يَوْمِ الدّينِ) الحجر35 ، بتعريف اللعنة بـ(أل)، وقوله: (وإنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتي إلى يَوْمِ الدّينِ) ص78 ، بتعريفها بالإضافة.

يرى الخطيب أن إضافة اللعنة إلى ياء المتكلم في آية (ص) مناسب لإضافة اليد إلى ياء المتكلم في قوله تعالى في السورة نفسها : (ما مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ. 75) ، بخلاف آية الحجر فإنه لما لم يكن الأمر فيها كذلك قال:(اللعنة) [58] ، فالمناسبة عنده لفظية.

جاء في (كشف المعاني):"لما أضاف خلق آدم تشريفًا له بقوله (خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) أضاف طرده عدوه إليه أيضًا زيادة في إكرامه "[59].

وهناك سبب آخر للتخصيص وهو"أنه في قصة (ص) ذكر نفسه أكثر مما في الحجر،فإنه ذكر نفسه في (ص) ست مرات وفي الحجر ثلاث مرات . قال في الحجر: (فَإذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيهِ مِن روحي فَقَعوا لَهُ ساجِدينَ29) . وقال في (ص) مثل ذلك وزاد عليه قوله : (ما مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ75) وقوله : (وَإنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتي) فكان كل تعبير مناسبًا لجو القصة التي ورد فيها "[60].

ومن ذلك قوله تعالى في سورة النور: (يا أيُّها الّذينَ آمَنوا لِيَسْتَأْذِنكُم الّذينَ مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ وَالّذينَ لَمْ يَبْلُغوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرّاتٍ . . . كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ الآياتِ وَاللهُ عَليمٌ حَكيمٌ) النور58، بتعريف (الآيات) بـ(أل)،وبتعريفها بالإضافة

---

(58) درّة التنزيل141.

(59) كشف المعاني223.

(60) التعبير القرآني308.

في الآية التي تليها وهي قوله: (وَإِذا بَلَغَ الأَطْفالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنوا كَما اسْتَأْذَنَ الَّذينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آياتِهِ وَاللهُ عَليمٌ حَكيمٌ. 59) فما سبب ذلك؟

قال الخطيب :عبر في الآية الأولى بـ(الآيات) ''لما لم يكن تبيين الأوقات من الأفعال التي تتخصص بقدرته ،ولما كان بلوغ الحلم مما يختص بفعله ولم يقدر فاعل على مثله أضافه إلى نفسه فقال: (كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آياتِهِ) ''[61].

ومعنى كلامه هذا أنه لما كان الاستئذان من أفعال العباد قال (الآيات) .أما بلوغ الحلم فهو من فعل الله تعالى وحده ولا دخل للعبد فيه ولذلك قال (آياته) لاختصاص الله تعالى بذلك .

وقد ذكر الخطيب ما يؤيد رأيه هذا فقال: إن سبب قوله في نهاية الآية الحادية والستين من السورة نفسها: (كذلك يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلونَ) بعدم إضافة الآيات إلى نفسه هو أن ما تقدمها من قوله في الآية نفسها: (ليس على الأَعْمى حَرَجٌ) . . . إلى قوله: (أن تأكُلوا مِن بُيوتِكُمْ) إنما هو من أفعال العباد . ومثله قوله تعالى: (يعظكم الله أَن تَعودوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُمْ مؤْمِنينَ . وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ وَاللهُ عَليمٌ حَكيمٌ) النور18،17 ، لما أشار إلى حد الزاني والقاذف [62].

2 ـ الضمير:

ذكرنا أن في القرآن الكريم آيات متشابهة تختلف في ضمائرها،حيث يرد الضمير مذكرًا في موطن منها ومؤنثًا في موطن آخر نحو قوله تعالى: (نسْقيكُم ممّا في بُطونِهِ) بتذكير الضمير (الهاء) ،وقوله: (نسْقيكُم ممّا في بُطونِها) بتأنيثه.ويرد مستترًا تارة وظاهرًا تارة أخرى نحو قوله تعالى: (وَمِنْهُم من يَسْتَمِعُ

---

(61) درة التنزيل180، وينظر كشف المعاني273.

(62) المصدر نفسه180.

إِلَيْكَ) وقوله:(وَمِنْهُم مَن يَسْتَمِعونَ إِلَيْكَ) ولا بد أن يكون لهذا الاختلاف سببه.

ومما وقف عليه الخطيب الإسكافي من هذه الآيات قوله تعالى: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نسْقِيكُم مِمَّا فِي بُطونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لبَنًا خالِصًا سائِغًا للشارِبِينَ) النحل66 ، وقوله: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعامِ لَعِبْرَةً نسْقِيكُم مِمَّا فِي بُطونِها وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْها تَأْكُلونَ . وَعَلَيْها وَعَلى الْفُلْكِ تُحْمَلونَ) المؤمنون21،22 .

نلاحظ أنه قال في آية النحل (بطونه) وفي آية المؤمنين (بطونها) علمًا بأن الضمير في كلتا الآيتين يعود على الأنعام،فما سبب هذا التخصيص؟

يذكر النحاة أن الضمير المؤنث يؤتى به للدلالة على الكثرة بخلاف الضمير المذكر فإنه يؤتى به للدلالة على القلة [63].وقد أتى الضمير في آية النحل مذكرًا وفي آية المؤمنين مؤنثًا،وهذا يعني أن الأنعام في آية المؤمنين أكثر منها في آية النحل.

وقد ذكر صاحب الدرة سبب ذلك فقال:إن المراد بالأنعام في آية النحل هو بعضها لأن الكلام فيها على إسقاء اللبن من بطون الأنعام، واللبن لا يخرج من جميع الأنعام بل يخرج من بعض إناثها، وليس كذلك في آية (المؤمنون) لأن الكلام فيها على منافع الأنعام من لبن وغيره،قال تعالى: (نسْقِيكُم مِمَّا فِي بُطونِها وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْها تَأْكُلونَ . وَعَلَيْها وَعَلى الْفُلْكِ تُحْمَلونَ) وهذه المنافع تعم جميع الأنعام ذكورها وإناثها،صغارها وكبارها .فجاء بالضمير المذكر مع الأنعام التي يستخلص منها اللبن ،وذلك لأنها أقل من عموم الأنعام،وجاء بالضمير المؤنث الذي يفيد الكثرة مع عموم الأنعام [64].

---

(63) ينظر معاني القرآن. يحيى بن زياد الفراء1/435،والمساعد على تسهيل الفوائد. بهاء الدين بن عقيل2/ 93،والبحر المحيط4/78،وحاشية الصبان على شرح الأشموني. محمد بن علي الصبان4/78.

(64) ينظر درة التنزيل150.

وذهب بدر الدين بن جماعة هذا المذهب فقال :''إن المراد في آية النحل البعض ،هو الإناث خاصّة ، فرجع الضمير إلى البعض المقدر .ودليله تخصيص الآية باللبن ، وهو في الإناث خاصّة .وآية سورة المؤمنين عامّة للجميع بدليل قوله تعالى: (وَلَكُمْ فيها مَنافِعُ) الآيات ،فعم الذكر والأنثى''[65]. كما ذهب هذا المذهب عدد آخر من العلماء كالكرماني والفيروزابادي[66].

ومن الآيات التي اختلف فيها الضمير بروزًا واستتارًا قوله تعالى: (وَمِنْهُم مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنا عَلى قُلوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهوهُ وَفي آذانِهِمْ وَقْرًا) الأنعام25 فقد أتى الضمير في (يستمع) في هذه الآية مستترًا، في حين أتى ظاهرًا في قوله: (وَمِنْهُم مَن يَسْتَمِعونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كانوا لا يَعْقِلونَ) يونس42.

يقول النحاة : إن اللفظين (من وما)مفردان مذكران ويجوز مراعاة لفظهما (أي:الإفراد والتذكير)ويجوز مراعاة معناهما .جاء في (الكتاب):''هذا باب إجرائهم صلة (مَن) وخبره إذا عنيت اثنين لصلة (اللذين) وإذا عنيت جميعًا كصلة (الذين) .فمن ذلك قوله تعالى: (وَمِنْهُم مَن يَسْتَمِعونَ إِلَيْكَ)''[67].

وجاء في (المقتضب) أن (مَن)''تكون جمعًا على لفظ الواحد وكذلك الاثنان قال الله عز وجل: (وَمِنْهُم من يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) وقال: (وَمِنْهُم من يَسْتَمِعونَ إِلَيْكَ) وقال: (وَمِنْهُم من يُؤْمِنُ بِهِ) فحمل على اللفظ .وقال: (بَلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنونَ)البقرة112 ، فحمل مرة على اللفظ ومرة على المعنى''[68].

وجاء في (همع الهوامع): ''ويجوز مراعاة اللفظ والمعنى في ضمير (مَن) و(ما) و(أل) . .لأنها في اللفظ مفردة مذكرة .فإن عني بها غير ذلك جاز مراعاة

---

(65) كشف المعاني229.

(66) ينظر البرهان246. 247 وبصائر ذوي التمييز1/258.

(67) الكتاب1/404.

(68) المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد2/295.

المعنى أيضًا .والأحسن مراعاة اللفظ لأنه الأكثر في كلام العرب. قال تعالى: (وَمِنْهُم من يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ)'' [69].

ويبدو لي أن مراعاة اللفظ هو الأكثر وليس الأحسن كما قال السيوطي،ولو كان الأحسن ما روعي المعنى في قوله تعالى: (وَمِنْهُم من يَسْتَمِعونَ إِلَيْكَ) والله أعلم.

بعد هذا التمهيد نقف على توجيه آيتي الأنعام ويونس فنقول:ذهب الخطيب وغيره من العلماء إلى أن سبب الحمل على اللفظ في آية الأنعام هو أنها نزلت في قوم قليلي العدد هم أبو سفيان والنضر ابن الحارث وعتبة وشيبة وأمية بن خلف كانوا يستمعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن فوحد الاستماع لقلتهم.وأما الآية الثانية فإنها نزلت في جميع الكفار ممن يستمعون إليه ،فجمعه لكثرتهم [70].نلاحظ أنه قد حسن الربط ما بين (يستمع) وقلة العدد،و(يستمعون) وكثرته.

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن سبب ذلك هو''أن المستمعين في آية يونس أكثر وأن مواقع الاستماع مختلفة في قلوب السامعين ،بخلاف المستمعين في آيتي الأنعام ومحمد [71]، ذلك أن المستمعين في آية الأنعام على نمط واحد وهم من الكفرة الذين لا يفقهون ولا يسمعون،فقد قال فيهم :

1. (وَجَعَلْنا عَلى قُلوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهوهُ) .
2. (وَفي آذانِهِمْ وَقْرًا) .
3. (وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنوا بِها) .

---

(69) همع الهوامع شرح جمع الجوامع. جلال الدين السيوطي1/299،وينظر المساعد على تسهيل الفوائد 1/160.

(70) ينظر درة التنزيل63،والبرهان للكرماني167 . 168،وكشف المعاني159 ،ومعترك الأقران في إعجاز القرآن . جلال الدين السيوطي3/332،وروح المعاني11/125.

(71) آية محمد هي قوله تعالى: (وَمِنْهُم مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذا خَرَجوا مِنْ عِندِكَ قالوا لِلَّذينَ أوتوا الْعِلْمَ ماذا قالَ آنِفًا أولئِكَ الَّذينَ طَبَعَ اللهُ عَلى قُلوبِهِمْ وَاتَّبَعوا أَهْواءَهُمْ. 16).

4. وذكر صفات أخرى تزيد في عنادهم وكفرهم.

فهؤلاء كأنهم مستمع رافض واحد،فمواقع الاستماع عندهم واحدة ... وليس الأمر كذلك في آية يونس ، فقد قال قبل هذه الآية: (وَمِنْهُم من يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم من لا يُؤْمِنُ بِهِ) يونس40.

وعلى هذا فالمستمعون هنا أكثر من صنف:صنف مؤمن وصنف كافر... فوحد المستمعين في آيتي الأنعام ومحمد لأنهم صنف واحد ولأن مواقع الكلام في نفوسهم واحدة وكأنهم مستمع واحد ،بخلاف ما في يونس فقد جمع المستمعين لأنهم أكثر من صنف ولأن مواقع الكلام مختلفة في نفوسهم"[72].وهذا تناظر فني جميل.

3ـ الاسم الموصول:

في القرآن الكريم آيات متشابهة تختلف في الاسم الموصول.وقد ذكر صاحب الدرة من هذه الآيات قوله تعالى:(قُلْ إِنَّ هُدى اللهِ هُوَ الْهُدى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُم بَعْدَ الَّذي جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصيرٍ) البقرة120، وقوله:(وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذينَ أوتوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعوا قِبْلَتَكَ وَما أَنتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَما بَعْضُهُم بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُم من بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَن لِمَنَ الظّالِمينَ) البقرة145، وقوله:(وَكَذلِكَ أَنزَلْناهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُم بَعْدَ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وِلا واقٍ) الرعد37.

نلاحظ أن الآية الأولى من آيتي البقرة قد خصصت بالاسم الموصول (الذي) بخلاف الآية الثانية منهما وآية الرعد فإنهما قد خصصتا بالاسم الموصول (ما)، فما السبب؟

---

(72) الجملة العربية والمعنى 133. 134.

يقول النحاة:إن (الذي) أخص من (ما) و(من) وذلك لأنهما قد تأتيان لأكثر من معنى ، فقد تأتي (من) للاستفهام والموصولية والشرط،وتأتي (ما)للاستفهام والموصولية والشرط والنفي والتعجب، أما (الذي) فلا تأتي إلا اسمًا موصولاً.جاء في (حاشية الصبّان) أن الاسم الموصول "أعرفه ما كان مختصًّا ثم ما كان مشتركًا"[73].وعلى ذلك فإن (الذي)أعرف من (ما) و(من) الموصولتين لأن (الذي)اسم موصول مختص بالموصولية بخلاف (من) و(ما) فإنهما تأتيان لأكثر من معنى كما ذكرنا.

بعد هذه المقدمة نعود إلى الآيات التي ذكرناها لنرى سبب التخصيص فيها.

يوجه الخطيب هذه الآيات ويبين سبب التخصيص فيها فيقول:إن الآية الأولى جاءت بعد قوله تعالى: (وَلَن تَرْضى عَنكَ الْيَهودُ وَلا النَّصارى حَتّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) واتباع الملتين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كفر، ولذلك قال الله تعالى: (قُلْ إِنَّ هُدى اللهِ هُوَ الْهُدى) ثم قال: (وَلَئِن اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُم بَعْدَ الَّذي جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصيرٍ) فمنعه من اتباع الفرقتين بالعلم الذي حصل له بصحة الإيمان وبطلان الكفر،و(الذي) في هذا المكان واقعة على العلم الذي ثبت به الإسلام وصح الإيمان،وكما أن هذا العلم مانع من الكفر الذي هو أكبر الذنوب فالعلم الذي يمنع منه أفضل العلوم.فإذا عبر عنه بأحد هذين الاسمين المبهمين وجب أن يخص منهما بالأشهر .

أما الآية الثانية من آيتي البقرة فإن قوله: (من بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) جاء بعد الإخبار عن مخالفة أهل الكتاب للنبي صلى الله عليه وسلم في القبلة وهو بعض الشرع ، والعلم بصحته بعض علم الشرع.ولم يكن كالعلم في الآية الأولى الذي هو محيط الشرع وكل الإيمان.

وأما آية الرعد فقد جاءت بعد قوله: (وَالَّذينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَفْرَحونَ بِما أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ) فقد نهاه الله تعالى عن اتباع أهوائهم

---

(73) حاشية الصبّان1/107.

في البعض بما أنزل الله عز وجل إليه،وهو الذي ينكره الأحزاب بما ثبت له من العلم بصحة هذا البعض الذي ينكرونه ... فلما كان هذا العلم بعض العلم الذي عبر عنه بلفظة (الذي) صار كالشائع في أبعاض هي مجموعة في الأول الذي عبر عنه باللفظ الأشهر ،فكان العلم المانع من اتباع أهوائهم فيه مثل العلم المانع من اتباع أهوائهم في أمر القبلة فعبر عنه بمثل ما عبر به عن ذلك [74].

وجاء في (كشف المعاني): ''ان (الذي) أبلغ من(ما) في باب الموصول في الاستغراق،فلما تضمنت الآية الأولى اتباع عموم أهوائهم في كل ما كانوا عليه بدليل (وَلَن تَرْضى عَنكَ الْيَهودُ وَلا النَّصارى حَتّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) ناسب لفظ (الذي)التي هي أبلغ في بابها من (ما).

والآيتان الأخريان في باب بعض المعروف،أما آية البقرة ففي اتباعهم في القبلة، وأما آية الرعد ففي البعض الذي أنكروه لتقدم قوله: (وَمِنَ الأَحْزابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ) أي:لئن اتبعت أهواءهم في بعض الذي أنكروه'' [75].

ولي توجيه آخر غير ما ذكر وهو أن ضمير الفصل في الآية الأولى من آيتي البقرة وهو قوله سبحانه: (إِنَّ هُدى اللهِ هُوَ الْهُدى) يفيد الاختصاص والقصر ، فناسب هذا الضمير المجيء بالاسم الموصول (الذي) المقتصر على الموصولية.

أما الآية الثانية من آيتي البقرة فقد جاء فيها قوله تعالى: (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذينَ أوتوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَة ما تَبِعوا قِبْلَتَكَ) فجاءت كلمة (آية) نكرة،والنكرة تفيد العموم والشمول،فناسبها (ما) الموصولة التي يراد بها الإطلاق والعموم.

وأما آية الرعد فقد جاء فيها قوله تعالى: (حُكْمًا عَرَبِيًّا) بصيغة التنكير،وجاء بعدها قوله: (مِن وَلِيٍّ وِلا واقٍ) بصيغة التنكير أيضًا،والنكرة تفيد العموم والشمول،فناسبها (ما)الموصولة التي يراد بها الإطلاق والعموم أيضًا والله أعلم.

---

(74) ينظر درة التنزيل14.

(75) كشف المعاني105.

ثانياً: تذكير الفعل وتأنيثه

يذكر النحاة أن هناك مواطن يجوز فيها ذكر التاء وحذفها، من ذلك أن يكون الفاعل جمع تكسير نحو قوله تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ) يوسف30 بتذكير الفعل (قال)، وبتأنيثه في قوله: (قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا) الحجرات14 ، ومن ذلك أن يفصل بين الفعل وفاعله بفاصل سواء أكان الفاعل مؤنثًا حقيقيًّا أم مجازيًّا، فالحقيقي نحو قوله تعالى: (إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ) الممتحنة12 ، والمجازي نحو قوله: (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ) هود67، يقول الناظم:

وقد يبيح الفصل ترك التاء في ... نحو أتى القاضيَ بنتُ الواقف (76)

وعلى الرغم من جواز ذكر التاء وحذفها في هذه المواطن فالكلام البليغ لا تذكر فيه تاء التأنيث أو تحذف بصورة عشوائية ولكن حسبما يقتضيه المعنى وخير مثال على ذلك الاستعمال القرآني فقد ذكّر الفعل في موطن وأنّث في موطن آخر شبيه به على حسب ما يقتضيه سياق النص.

من ذلك قوله تعالى: (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ) هود67، فقد ذُكّر الفعل (أخذ) في هذه الآية، في حين أُنّث في قوله: (وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ) هود94.

نلاحظ أن هاتين الآيتين متشابهتان تمامًا إلا أن الفعل (أخذ) أنث في الآية الثانية دون الآية الأولى وقد ذكّر الفعل وأنّث على الرغم من طول الفصل بين الفعل والفاعل في كلتا الآيتين وبناءً على هذا فقد اعترض الدكتور فاضل السامرائي على قول سيبويه: "وكلما طال الكلام فهو أحسن نحو قولك: (حضر القاضيَ امرأةٌ) لأنه إذا طال الكلام كان الحذف أجمل" (77) قائلاً: "والذي أراه أن هذا الكلام ليس على إطلاقه وإنما الذي يقرره المعنى، فليس إثبات التاء في الحقيقي التأنيث أجود ولا إذا طال الكلام كان الحذف

---

(76) ينظر شرح ابن عقيل. بهاء الدين عبد الله بن عقيل 1/482، 477، 483.

(77) كتاب سيبويه 1/235 وينظر بدائع الفوائد. ابن قيم الجوزية 1/125.

أجمل سواءً كان التأنيث حقيقيًا أم مجازيًا ودليلنا على ذلك كلام الله تعالى"(78).

وللخطيب الإسكافي وقفات على بعض الآيات المتشابهات التي يتذكّر الفعل في موطن منها ويؤنث في موطن آخر، منها قوله تعالى مخبرًا عن صالح عليه السلام: (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ) هود67 وقوله: (وَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ) هود94

للسائل أن يسأل عن سبب تذكير الفعل في الآية الأولى وتأنيثه في الآية الثانية.

ذهب الخطيب إلى أن سبب ذلك هو "أن الله تعالى أخبر عن العذاب الذي أهلك به قوم شعيب عليه السلام بثلاثة ألفاظ منها (الرجفة) في سورة الأعراف في قوله: (وَقالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخاسِرُونَ . فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ.) الآية89، وذكر ذلك قبله في مكان آخر ومنها (الصيحة) في سورة هود في قوله تعالى: (وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ. كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ) الآيتان94،95. ومنها (الظلة) في سورة الشعراء في قوله تعالى: (فَأَخَذَهُمْ عَذابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) الآية189. وفي التفسير أن هذه الثلاث جمعت لهم لإهلاكهم واحدة بعد أخرى، لأن الرجفة بدأت بهم فأزعجوا لها عن الكنّ[79] إلى البراح فلما أصحروا نال منهم حر الشمس وظهرت لهم ظلة تبادروا إليها وهي سحابة سكنوا إلى روح تحت ظلها، فجاءتهم الصيحة فهمدوا لها، فلما اجتمعت ثلاثة أشياء مؤنثة الألفاظ في العبارة عن العذاب الذي أهلكوا به غلب التأنيث في هذا المكان على المكان الذي لم تتوالَ فيه هذه المؤنثات، فلذلك

(78) معاني النحو. الدكتور فاضل صالح السامرائي2/482.

(79) الكنّ: البيت.

جاء في قصة شعيب (وَأَخَذَتِ الَّذينَ ظَلَموا الصَّيْحَةُ)" [80]. وقد ذهب ابن قيم الجوزية والزركشي إلى ما ذهب إليه الخطيب [81].

وأما أبو البركات ابن الأنباري فقد ذهب إلى أن حذف التاء من الفعل (أخذ) في الآية الأولى يرجع إلى ثلاثة أسباب هي:

السبب الأول:أنه فصل بين الفعل والفاعل بالمفعول به وهو (الَّذينَ ظَلَموا).

والسبب الثاني:أن تأنيث الصيحة غير حقيقي،ألا ترى أنه يجوز أن نقول: (حسُن دارك) و(اضطرم نارك) ؟

والثالث:أنه محمول على المعنى،لأن الصيحة في معنى الصياح كقوله تعالى: (فَمَن جاءَهُ مَوْعِظَةٌ من رَّبِّهِ.275) ولم يقل (جاءته)،لأن (موعظة)في معنى وعظ .والشواهد على الحمل على المعنى كثيرة جداً [82].

وهذه الأسباب الثلاثة فيها نظر:

أما السبب الأول فقد ذكر فيه أن سبب حذف التاء من الفعل (أخذ) في الآية الأولى هو الفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول به وهو (الَّذينَ ظَلَموا).

ونقول:إن الفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول به (الَّذينَ ظَلَموا) قد حصل في الآية الثانية كما حصل في الآية الأولى،فلمَ ذكر التاء معها؟

وأما السبب الثاني فقد ذكر فيه أن تأنيث الصيحة في الآية الأولى غير حقيقي.

ونقول:إن لفظ (الصيحة) قد ذكر في الآية الثانية كما ورد ذكره في الآية الأولى،وتأنيثها في الآيتين غير حقيقي،فلمَ أنث الفعل معها في الآية الثانية دون الآية الأولى؟

---

(80) درّة التنزيل122.

(81) ينظر بدائع الفوائد1/126،والبرهان للزركشي3/368.

(82) البيان في غريب إعراب القرآن. أبو البركات بن الأنباري2/20.

وأما السبب الثالث فقد ذكر فيه ابن الأنباري أن لفظ (الصيحة) في الآية الأولى محمول على معنى (الصياح). ولم يبين لنا سبب حملها على المعنى في الآية الأولى دون الآية الثانية.

وأما الفخر الرازي فقال: "إنما قال (أخذ) ولم يقل (أخذت) لأن الصيحة محمولة على الصياح.وأيضًا فصل بين الفعل والاسم المؤنث بفاصل،فكان الفاصل كالعوض من تاء التأنيث"(83).

ويمكن أن نرد على هذين السببين بمثل ما رددنا على ابن الأنباري وهو أن الصيحة قد وردت في الآية الثانية أيضًا فلمَ لم تحمل على الصياح أيضًا ؟ إذن لأمكن مجيء الفعل فيها مجردًا من تاء التأنيث. وكذلك فقد حصل الفصل بين الفعل والاسم المؤنث في الآية الثانية فلمَ لم يأت الفعل فيها مذكرًا كما جاء في الآية الأولى؟

وعلى هذا فالراجح عندي هو ما ذهب إليه الخطيب ومن ذهب مذهبه والله أعلم.

ثالثًا:الفروق اللغوية:

هناك آيات قرآنية متشابهة فيها كلمات تبدو للوهلة الأولى أنها مترادفة، ولكن الحقيقة هي أن بينها فرقًا وذلك كالفرق بين (الإمر) و(النكر)، والفرق بين (كسبوا) و(عملوا)، فما سبب تخصيص كل آية بما خصت به؟

وللخطيب وقفات على هذا النوع من الآيات، من ذلك قوله تعالى: (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) الكهف71 ، وقوله: (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نكْرًا) الكهف74.

من المعروف أن الآية الأولى قالها موسى عليه السلام للخضر عندما خرق السفينة، والآية الثانية قالها له عندما قتل الغلام.

---

(83) تفسير الرازي. الفخر الرازي18 / 21.

والفرق بين (الإمر) و(النكر) أن الإمر هو العجب، والنكر أعظم من العجب"[84].

وقد ذهب الخطيب وغيره من العلماء إلى أن سبب اختصاص الفعل الأول بالإمر هو "أن خرق السفينة التي لم يغرق فيها أحد أهون من قتل الغلام الذي قد هلك"[85].

وقد قيل: إن الإمر أعظم من النكر بحجة "أن تغريق من في السفينة أنكر من قتل نفس واحدة"[86]. وقد اعترض صاحب الدرة على هذا الرأي فقال: "ليس كذلك لأن الغرق لم يقع، والقتل قد حصل"[87].

ومن ذلك قوله تعالى في موطن: (وَبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبوا وَحاقَ بِهِم مّا كانوا بِهِ يَسْتَهْزِئونَ) الزمر48، وفي موطن آخر: (وَبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلوا وَحاقَ بِهِم مّا كانوا بِهِ يَسْتَهْزِئونَ) الزمر48. الجاثية33.

يذكر الخطيب أن سبب قوله (كسبوا) في آية الزمر أن هذه الآية وقعت بين ألفاظ الكسب، فقال تعالى قبل هذه الآية: (أَفَمَن يَتَّقي بِوَجْهِهِ سوءَ الْعَذابِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَقيلَ لِلظّالِمينَ ذوقوا ما كُنتُمْ تَكْسِبونَ) 24، وقال بعدها: (قَدْ قالَها الَّذينَ مِن قَبْلِهِمْ فَما أَغْنى عَنْهُم ما كانوا يَكْسِبونَ فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَالَّذينَ ظَلَموا مِنْ هؤلاءِ سَيُصيبُهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبوا وَما هُم بِمُعْجِزينَ) 50،51 في حين وقعت آية الجاثية بين ألفاظ العمل، فقال تعالى قبل هذه الآية: (وَتَرى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِها الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنتُمْ تَعْمَلونَ) 28، ثم قال: (إِنّا كُنّا نَسْتَنسِخُ ما كُنتُمْ تَعْمَلونَ فَأَمّا الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا

---

(84) تفسير الرازي 156/21، والتحرير والتنوير 111/15، والبحر المحيط 142/6.

(85) درة التنزيل 158، وينظر البرهان للكرماني 257، وكشف المعاني 242، والبحر المحيط 142/6، وبصائر ذوي التمييز 301/1.

(86) درة التنزيل 158.

(87) المصدر نفسه.

الصّالِحاتِ) 30،29، ثم قال: (وَبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلوا وَحاقَ بِهِم مّا كانوا بِهِ يَسْتَهْزِئونَ) [88].

ثم إن سورة الزمر تردد فيها لفظ (الكسب) خمس مرات [89]، وأما في سورة الجاثية فقد وردت ثلاث مرات [90]. فوضع كل لفظة في الموطن الذي يقتضيها [91].

المبحث الثالث: ذكر وحذف حرف المبنى:

نلاحظ في التعبير القرآني أن الكلمة قد تذكر كاملة في موطن ويحذف جزء منها في موطن آخر، فقد يقول في موضع (استطاعوا) وفي موضع آخر (استطاعوا) بحذف التاء، وقد يقول في مكان (بأنّنا) بذكر النونات الثلاثة وفي مكان آخر (بأنّا) بحذف إحدى النونين الأوليين ... وهكذا.

وعلى الرغم من أنه لم يطرأ تغيير على معنى الكلمة في حالة حذف جزء منها لابد أن يكون هناك سبب لذكر حرف المبنى وحذفه اقتضاه سياق النص بحيث حسن الذكر في موطن والحذف في موطن آخر، لأن الذكر في موطنه بلاغة والحذف في موطنه بلاغة، فلا يجوز للبليغ أن يذكر في موطن الحذف أو يعكس. يقول عبد القاهر الجرجاني وهو يتكلم على بلاغة الحذف: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن" [92].

---

(88) المصدر نفسه 228.

(89) انظر الآيات 51، 50، 48، 24 (مرتين).

(90) انظر الآيات 22، 14، 10.

(91) التعبير القرآني 238.

(92) دلائل الإعجاز 103.

والآن نقف على بعض ما وقف عليه صاحب الدرة من الآيات لنرى توجيهه لها ونقارنه بتوجيه غيره من العلماء. من ذلك قوله تعالى: (فَما اسْطاعوا أَن يَظْهَروهُ وَما اسْتَطاعوا لَهُ نَقْبًا) الكهف97.

إن معنى(اسطاع) و(استطاع) واحد[93]، ولكن ما سبب استعمال(اسطاعوا) مع الظهور و(استطاعوا) مع النقب ؟

يذكر بعض المفسرين أن التاء حذفت في (اسطاعوا) للتخفيف[94].وهذا الكلام صحيح ولكن ما سبب هذا التخفيف؟ ولماذا خص التخفيف مع الظهور دون النقب ؟

يقول صاحب الدرة:إن ''الثانية تعدّت إلى اسم وهو قوله (نقبًا) فخففت متعلقها فاحتملت أن يتم لفظها.فأما الأولى فإنها تعلق مكان مفعولها بـ(أنْ) والفعل بعدها،وهي أربعة أشياء (أنْ والفعل والفاعل والمفعول الذي هو الهاء) فثقل لفظ استطاعوا... فلما اجتمع الثقيلان واحتملت الأولى التخفيف ألزم الأول دون الثاني الذي خف متعلقه واحتمل''[95].

وقد ذهب إلى ذلك بدر الدين بن جماعة فقال:''وفي قصة ذي القرنين أن تعلق الفعل بالمفعول المفرد أخف من تعلقه بالمركّب،و(أَن يَظْهَروهُ) مفعول مركب فناسب التخفيف.و(نقبا) مفعول وفرد فكمل لفظ الفعل معه لعدم المقتضى للتخفيف''[96].

ومعنى هذا أن مفعول(اسطاعوا) هو(أن يظهروه) ،ومفعول(استطاعوا) هو (نقبًا) ،والملاحظ أن المفعول الأول يتكون من حرف مصدري وفعل وفاعل ومفعول

---

(93) ينظر لسان العرب. ابن منظور10/112.113،والقاموس المحيط. مجد الدين الفيروزابادي3/60 (مادة طوع).

(94) ينظر مفاتيح الغيب21/172،وروح المعاني16/41.

(95) درة التنزيل158.

(96) .كشف المعاني244.

به،أما المفعول الثاني فيتكون من اسم مفرد وهو(نقبًا)، ولما كان المفعول الأول ثقيلاً خفف الفعل فقال (اسطاعوا) ولما كان المفعول الثاني خفيفًا أتى بالفعل تامًّا فقال(استطاعوا) وبذلك يحصل التلاؤم بين الفعل الخفيف والمفعول الثقيل من جهة، والفعل الثقيل والمفعول الخفيف من جهة أخرى.

وأرى أن في هذا التوجيه تكلفًا واضحًا ،فلو كان التعبير على غير ذلك وقال أولاً(فما استطاعوا أن يظهروه) ثم قال(وما اسطاعوا له نقبًا) لوجهه أيضًا وقال كان الأمر كذلك ليناسب الإيجاز الإيجاز وتناسب الإطالة الإطالة، أي ليناسب (استطاعوا) قوله (أن يظهروه) ويناسب (اسطاعوا) قوله(نقبًا)، فإن الإنسان لا يعدم تعليلاً لما يريد.

وخير ما وقفت عليه في توجيه هذه الآية ما ذكره ابن الزبير حيث قال:إن الظهور على السد والصعود فوقه أيسر من عمل نقب فيه ،فجيء بالفعل خفيفًا مع العمل الأخف وهو الصعود على السد ،وجيء بالفعل تامًّا مع العمل الأثقل وهو النقب[97].ولعل هذا التوجيه مستنبط من القاعدة اللغوية:إن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى[98].

وقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي توجيهًا آخر لعله مستنبط أيضًا من القاعدة اللغوية المذكورة آنفًا فقال:"إنه لما كان الصعود على السد يتطلب زمنًا أقصر من إحداث النقب فيه حذف من الفعل وقصّر منه ليجانس النطق الزمن الذي يتطلبه كل حدث"[99].

---

(97) ينظر ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل. أحمد بن الزبير الغرناطي2/654.655.

(98) ينظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. جار الله الزمخشري1/34.

(99) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني12.

تبين لنا مما سبق أن كل فعل لم يأت إلا في المكان المناسب له،بحيث لو استعمل الفعل (اسطاعوا) مع النقب و(استطاعوا)مع (أن يظهروه) لاختلّ نظم الآية.

ومن ذلك مجيء نون (إنّ) مشددّة في قوله تعالى: (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلى الْحَوارِيينَ أَنْ آمِنوا بي وَبِرَسولي قالوا آمَنّا وَاشْهَدْ بِأَنّنا مُسْلِمونَ) المائدة111، ومخففة في قوله: (فَلَمّا أَحَسَّ عيسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قالَ مَنْ أَنصاري إِلى اللهِ قالَ الْحَوارِيّونَ نَحْنُ أَنصارُ اللهِ آمَنّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنّا مُسْلِمونَ) آل عمران52 .

يذكر صاحب الدرة أن سبب مجيء حرف النون مشددًا في آية المائدة هو أن الآية بدأت بقوله تعالى: (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلى الْحَوارِيينَ أَنْ آمِنوا بي وَبِرَسولي)، فالله تعالى هو الذي أوحى إليهم،فناسب إيحاؤه تعالى زيادة النون تأكيدًا على إسلامهم . وأما سبب مجيء النون مخففًا في آية آل عمران فهو أن قول الحواريين جاء جوابًا على سؤال عيسى عليه السلام: (مَنْ أَنصاري إِلى اللهِ) فأجابوه (نَحْنُ أَنصارُ اللهِ آمَنّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنّا مُسْلِمونَ)فجاء التأكيد أخف، لأن الإقرار بالإسلام مع الرسول ليس كالإقرار مع رب العالمين[100].

ومن الواضح أن هذا التوجيه مستنبط مما يفيده ذكر النون، فمن المعروف"أن ذكر النون إنما يكون لغرض الزيادة في التوكيد، ف(إنّني) آكد من (إنّي)، و(إنّنا) آكد من (إنّا)، وذلك أن اجتماع ثلاث نونات يزيد في التأكيد"[101].

وقد ذهب الكرماني إلى أن سبب مجيء النون في آية المائدة دون آية آل عمران أن ما في سورة المائدة أول كلام الحواريين فجاء على الأصل، وما في سورة آل

---

(100) ينظر درة التنزيل37.

(101) معاني النحو1/388.

عمران تكرار لكلامهم فجاء مخففاً، لأن التخفيف فرع والتكرار فرع، فجاء الفرع مع الفرع[102].

ومن أغراض ذكر النون ''مراعاة مقام الإطالة، فقد يقتضي المقام الإطالة والتفصيل فيؤتى بها، وقد يقتضي الإيجاز فلا تلحق''[103].

ويمكن توجيه هاتين الآيتين وفق هذا الغرض فنقول:إن آية المائدة ورد فيها التفصيل فيما يجب الإيمان به، وذلك فيما نراه في قوله تعالى: (أَنْ آمِنوا بي وَبِرَسولي) فناسب ذلك التفصيل مجيء (إنّنا) على الأصل، بخلاف آية آل عمران، فإنه لم يرد فيها ذكر الإيمان بالرسول كما ورد في آية المائدة، قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: (مَنْ أَنصاري إِلى اللهِ قالَ الْحَوارِيّونَ نَحْنُ أَنصارُ اللهِ آمَنّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنّا مُسْلِمونَ) 52 ، فلم يرد هنا ذكر الرسول، فناسب هذا الإيجاز حذف النون[104].

---

(102) ينظر البرهان149، وبصائر ذوي التمييز1/164.

(103) معاني النحو1/389.

(104) ينظر ملاك التاويل1/165.166.

الخاتمة

أحمدك ربي كما علمتني أن أحمد، وأصلي وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد وبعد:

في ختام بحث المفردة في كتاب (درة التنزيل) أجمل النتائج فيما يأتي: هناك خلاف كبير في صاحب كتاب الدرة، وقد رجحنا أنه للخطيب الإسكافي وذكرنا أدلة على ذلك .

1. هناك آيات أرى أن الخطيب قد وفق في توجيهها توفيقاً كبيراً، وآيات أخرى تكلف في توجيهها تكلفاً واضحاً ، وقسم ثالث من الآيات لم يوفق أو ربما أخطأ في توجيهها.
2. قد يكون للآية أكثر من سبب للتخصيص ، وقد رأينا ذلك جلياً في توجيه بعض الآيات القرآنية المتشابهة، وهذا يعني أن القرآن الكريم لا تفنى عجائبه.

وأخيراً نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

والحمد لله رب العالمين

مصادر البحث

1. الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين السيوطي. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية للطباعة والنشر. بيروت 1407هـ. 1987.
2. أدب الكاتب. أبو محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة بمصر. الطبعة الرابعة 1382هـ. 1963.
3. الأعلام. خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الرابعة عشرة. فبراير 1999.
4. الإيضاح في علوم البلاغة. جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني. تحقيق وتعليق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر. مطبعة السنة المحمدية. القاهرة.
5. البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى 1413هـ. 1993م.
6. بدائع الفوائد. ابن قيم الجوزية. دار الكتاب العربي. بيروت.
7. البرهان في علوم القرآن. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية. الطبعة الأولى 1376هـ 1957.
8. البرهان في متشابه القرآن. محمود بن حمزة الكرماني. تحقيق أحمد عز الدين عبد الله خلف الله. دار صادر. بيروت. الطبعة الثانية 1417هـ. 1996.
9. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي. تحقيق الأستاذ محمد علي النجار. القاهرة 1383هـ.
10. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. جلال الدين السيوطي. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. الطبعة الأولى. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه 1384هـ. 1964.

11. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. الدكتور فاضل صالح السامرائي. دار عمار. عمان. الطبعة الأولى 1420هـ. 1999.

12. البيان في غريب إعراب القرآن. أبو البركات بن الأنباري. تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه. الهيئة المصرية العامة للكتاب 1400هـ. 1980.

13. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان. الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993.

14. التحرير والتنوير. محمد الطاهر ابن عاشور. مؤسسة التاريخ. بيروت. الطبعة الأولى 1420هـ. 2000.

15. التعبير القرآني. الدكتور فاضل صالح السامرائي. دار عمار. عمان. الطبعة الأولى 1418هـ. 1998.

16. الجملة العربية والمعنى. الدكتور فاضل صالح السامرائي. دار ابن حزم. بيروت. الطبعة الأولى 1421هـ. 2000.

17. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل. دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه.

18. حاشية الصبان على شرح الأشموني. محمد بن علي الصبان. دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه.

19. درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى 1416هـ. 1995.

20. درة الغواص في أوهام الخواص. القاسم بن علي الحريري. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. دار نهضة مصر للطبع والنشر.

21. دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني. تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية والدكتور فايز الداية. دار قتيبة. الطبعة الأولى 1403هـ. 1983.

22. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي. ضبط وتصحيح علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى 1415هـ. 1994 .

23. سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن. الدكتور عودة الله منيع القيسي. دار البشير ومؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى 1416هـ. 1996.

24. شرح ابن عقيل. بهاء الدين عبد الله بن عقيل. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة بمصر 1384هـ. 1964.

25. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة بمصر. الطبعة الأولى 1375هـ. 1955.

26. شرح شافية ابن الحاجب. رضي الدين الأستراباذي. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين. مطبعة حجازي بالقاهرة. الطبعة الأولى 1358هـ. 1939.

27. شرح الكافية الشافية. جمال الدين أبو عبد الله بن مالك الطائي. تحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي. دار المأمون للتراث. الطبعة الأولى 1402هـ. 1982 .

28. شرح المفصل. موفق الدين بن يعيش النحوي. إدارة الطباعة المنيرية.

29. القاموس المحيط. مجد الدين الفيروزابادي. شركة فن الطباعة في مصر. الطبعة الخامسة.

30. الكتاب. أبو بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه. نسخة مصورة على طبعة بولاق. مكتبة المثنى. بغداد.

31. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. جار الله الزمخشري. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1367هـ. 1948.

32. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. حاجي خليفة. دار الفكر 1402هـ. 1982.

33. كشف المعاني في المتشابه من المثاني. بدر الدين بن جماعة. تحقيق الدكتور عبد الجواد خلف. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

34. لسان العرب. ابن منظور. نسخة مصورة على طبعة بولاق. الدار المصرية للتأليف والترجمة.

35. المساعد على تسهيل الفوائد. بهاء الدين بن عقيل. تحقيق الدكتور محمد كامل بركات. دار الفكر بدمشق. الطبعة الأولى 1402هـ. 1982م.

36. معاني الأبنية في العربية. الدكتور فاضل صالح السامرائي. دار الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى. 1401هـ. 1981.

37. معاني القرآن. أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء. عالم الكتب. بيروت. الطبعة الثانية 1980.

38. معاني النحو. الدكتور فاضل صالح السامرائي. مطبعة التعليم العالي في الموصل 1986. 1987.

39. معترك الأقران في إعجاز القرآن. جلال الدين السيوطي. تحقيق محمد علي البجاوي. دار الفكر العربي.

40. معجم الأدباء. ياقوت الحموي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. الطبعة الأولى 1408هـ. 1988.

41. معجم المؤلفين. عمر رضا كحالة. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

42. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. محمد فؤاد عبد الباقي. دار الحديث. القاهرة. الطبعة الثانية 1408هـ. 1988م.

43. مفاتيح الغيب. الفخر الرازي. طهران. الطبعة الثانية.

44. مفردات ألفاظ القرآن. الراغب الأصبهاني. تحقيق صفوان عدنان داودي. دار القلم دمشق. الطبعة الأولى 1421هـ. 1992.

45. المقتضب. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد. تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة1386هـ.

46. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل. أحمد بن الزبير الغرناطي. تحقيق الدكتور محمود كامل أحمد. دار النهضة العربية. بيروت. 1405هـ. 1985.

47. نظم الدرر في تناسب الآي والسور. برهان الدين البقاعي. حيدر آباد. الدكن. الهند. الطبعة الأولى 1398هـ. 1978.

48. هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. إسماعيل باشا البغدادي. دار الفكر 1402هـ. 1982.

49. همع الهوامع شرح جمع الجوامع. جلال الدين السيوطي. تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم. دار البحوث العلمية. الكويت 1975.

50. الوافي بالوفيات. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. باعتناء س. ديدرينغ. الطبعة الثانية 1394هـ. 1974.